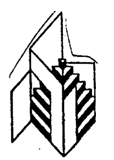
أوتار الدقهلية ..
و ألحانها الندية

أمين مرسى

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم شرق الدلتا
فرع ثقافة الدقهلية
سلسلة أدباء الدقهلية (١٦)



لوحة الغلاف للفنان : أ.د محمد شاكر

وللثقافة كلمة

إن المسئولية الملقاة على عاتق فرع ثقافة الدقهلية تدفعنا إلى الاهتمام بفرع من أهم أفرع الأنشطة الثقافية ألا وهو " النشر " آملين أن نحقق جزءاً يسيراً من طموحات المبدعين من أبناء " جزيرة الورد " الثرية بأبنائها " والمحمية " بقيادتها الواعية متمثلة فى السيد الوزير اللواء **فخر الدين خالد عبده** محافظ الدقهلية خاصة الأدباء منهم ، ونحن فى هذا العدد نقدم للقارئ كتابا جديداً يحمل عنواناً رقيقاً " أوتار الدقهلية وألحانها الندية " للأديب أمين مرسى ، يقدم فيه أديبنا دراسات نقدية ويحلق بنا فى عالم الأدب والتذوق واللحن الجميل مابين : أم كلثوم ، وزكريا الحجاوى ، مروراً بشاعر المقاومة إبراهيم رضوان ، والشاعر المتفرد سيد حجاب ، وانتهاءاً بصفوت العسال شاعر الرومانسية ، وكأنما نقول أن الدقهلية غنية بمبدعيها فى كل المجالات " الغناء - الفن الشعبى - شعراء العامية والفصحى ، ومجال النقد الأدبى أيضاً " ، فالنقد كنشاط معرفى أصبح متاخماً للعلوم الإنسانية لأن الناقد يدرس عن طريقه النصوص ويميز أساليبها ، والعمل النقدى عمل إبداعى تتلاحق موجاته وتتلاطم إذ يقوم الناقد بتوظيف قدراته العقلية وخياله للوقوف على ذلك الجهد الخلاق الذى قام به المبدع الدقهلاوى لنقدمه فى شكل متناسق وإطار بديع هدية لكل أبناء الإقليم بمناسبة احتفالات الثقافة بمئوية أم كلثوم بتوجيه من رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة ... ابن الدقهلية الأستاذ الدكتور الفنان **مصطفى الرزاز** .

مدير عام الثقافة

سعد طلبه فايد

إهداء

إلى أنفال

ومحمود

وأسيل

أمُدُّ الكونَ شِراعاً فى كتاب

أمين مرسى

مفتتح

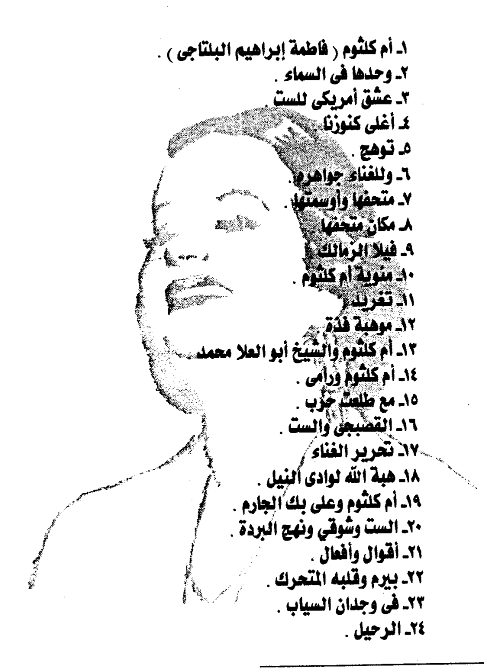
فى الدقهلية نماذج ثريةٌ للمواطن المصرى ، فهى محافظـــة الحلــم ، والعِلْم الذى لا ينضب معينه ، والحضارة العريقة ، والتاريخ التليد ، البــاقى مع الزمن ، يحكى للأجيال قصة معركة المنصورة (١٢٥٠م) والانتصـــار على حملة لويس التاسع ملك فرنسا وأسره ، وسجنه فى دار ابـــن لقمــان بالمنصورة ، كما يحكى قصة الأرض الولود الخصبة التى تثمر كــل حيــن عبقريات بلا حساب ، تنشر رسالة الفكر لفهم الواقع ونقده ، وتغييره إلـــى الأفضل ، أو استشراف غير المدرك لصياغة تصور مغــاير أكــثر ملائمــة للمستقبل ، حتى لا ينهمر الجفاف .

وكتابنا : (**أوتار الدقهلية وألحانها الندية**) : يتضمن عدداً مـــن الدراســات التى تدور حول سيدة الغناء العربى " **أم كلثوم** " ، وعاشق المداحين " **زكريــا الحجاوى** " ، وشاعر المقاومة " **إبراهيم رضوان** " ، وعصفور الحرية " **سـيد حجاب** " ، وشاعر الرومانسية " **صفوت العسال** ". نقتبس منهم شعلة الــروح التى تشخص لها الأبصار ، نغوص فى الاتجاهات الفنية ، والتوجهات الفكرية لهم ، فليست هناك تصورات نهائية للفن لأنه يقبل الصيرورة والتحول عــبر التاريخ ، دون أن يفقد صدقه أو يضل مرفأه .

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى : أنها تعكس لنا قيمة الإنجازات الإبداعيــة التى تتجذر فى أعماق التاريخ ، وتنصهر فى المكان ، وتحضر فيه حضـــور الروح فى الجسد ، وترسم الخرائط الجميلة لحقول الشعر ، فنطلق عقيرتنـــا بالغناء ، ونحمل الزاد لسفرنا الطويل ، نقف فى شرفات الصوت الســـاحر ، نبسط الشكايات والشجون التى تعتمل فـــى الصـــدور ، نســتمتع بالأشـــعار والأفكار ، نسكن القصائد ، ننتقى منها حبات الماس وننظمها فى عقد ثمين ، نعزز الوعى بالزمن ، والمكان الذى يحتضن الآمال .

أمين موسى

أم كلثـــوم [١]
١٨٨٩-١٩٧٥م



١- أم كلثوم (فاطمة إبراهيم البلتاجى) .
٢- وحدها فى السماء .
٣- عشق أمريكى للست .
٤- أغلى كنوزنا .
٥- توهج .
٦- وللغناء جواهره .
٧- متحفها وأوسمتها .
٨- مكان متحفها .
٩- فيلا الزمالك .
١٠- مئوية أم كلثوم .
١١- تفرد .
١٢- موهبة فذة .
١٣- أم كلثوم والشيخ أبو العلا محمد .
١٤- أم كلثوم ورامى .
١٥- مع طلعت حرب .
١٦- القصبجى والست .
١٧- تحرير الغناء .
١٨- هبة الله لوادى النيل .
١٩- أم كلثوم وعلى بك الجارم .
٢٠- الست وشوقي ونهج البردة .
٢١- أقوال وأفعال .
٢٢- بيرم وقلبه المتحرك .
٢٣- فى وجدان السياب .
٢٤- الرحيل .

---

(١) فى كتابه . مصور أعلام الفكر العربى ، ج١ يذكـــر ســـعيد جـــودة الســـحار أم كلثـــوم " ص ٥٠ " ويذكر تاريخ ميلادها " ١٨٨٩" م. والكتاب يحمل صوراً للأعـــلام بريشـــة الفنان جمال قطب .

أم كلثوم
(فاطمة إبراهيم البلتاجى)
(١٨٨٩م-١٩٧٥م)

يظل بستان السنبلاوين حافلا بالثمار ، فهذه موهبة من طراز فريد تنبت فى (طماى الزهايرة) مركز السنبلاوين دقهلية ، وكانت على موعد مع الشفافية فى الغناء ...

إنها حمامة الأيك من بالشدو تعرفها ... برقة الصوت ، وصدق شعورها مع كلمات أمير الشعراء أحمد شوقى .

ومع أمير شعر الفصحى يظهر أمير لشعر العامية ... إنه بيرم التونسى الذى قال لشوقى :

يا أمير الشعر غيرك

فى الزجل يبقى أميرك

ويكتب الاثنان لأم كلثوم ، كما يكتب لها شاعر الشباب الراحل أحمد رامي ... والقائمة طويلة ...

ونتوقف عند ألحان بلبل الدقهلية ومصو رياض السنباطى فألحانه للست فاقت الحدود ونطقت بالكثير من الأسرار التى تبوح بها الألحان فى وله وعشق ، ففيها الرؤيا المدخرة فى الذاكرة ، ولا نغفل دور الشيخ زكريا أحمد وألحانه التى كانت بمثابة جرعة ماء فى بيداء الحياة ... تبعث فى الذات الجرداء بهاء الحب ، وتدفع شراع اللحن إلى أفق متسع يسعنا جميعا .

ونتذكر الموسيقار الكبير **محمد عبد الوهاب** وألحانـــه للســت فــهى عبارة عن لوحة رائعة تدب فيها كل الإيقاعات ، وتنقل لنا حركة الحياة بسهولة ويسر ، حتى لا يبقى الماضى على جموده وجحوده .

ونتأمل دور القصبجى مع أم كلثوم ، بألحانه التـــى تنشــر اللــون الأخضر ... بموسيقاه التى تمـــور ، وتفــور ، بالحركـــة ، والــدفء والحيوية ، والنشاط ، يصوغ لها من ألق ألحانه ، تلك الرؤي الإبداعية التى تظهر كحلم جميل ... كعـــروس مجلــوة .... كـــالأمل المســكون بالروح ... الأمل فى تغيير الإنسان نحو الأفضل ... ونقله مـــن حالـــة السكون إلى حالة الحركة ... ومن الكآبة إلى السعادة والانتشاء .

مع صوت الست ينصرف شبح الذهـــول الموشـــح بـــالرعب عـــن قلوبنا ... نرتقى إلى ذروة الحلم ... نخلف وراء ظهورنا عتمـــة الأيـــام والقرون ، نبتعد عن هالات الغموض ... نسبح مع الصوت الآسر فـــى هالات من النور ... نطالع شموخ الصوت ، والاعتداد بالنفس .... نستل من المدائن قصائد العشق ... نبتعد عن اللغة الصعبة ... نحلق مع اللغة الطيعة المناسبة لروح العصر وهى تذوب مع اللحن المعطاء .

وحدها فى السماء

يروى ابن الدقهلية البار أنيس منصور ذكرياته عن الســت فيقــول : كانت منيرة المهدية فى القاهرة هـــى ســلطانة الطــرب ، والأبهــة ، والمجتمعات الرسمية ، والحظ ، والفرفشة ، والمسخرة أيضا .

ويواصل حديثه فيقول [1] : قررت أم كلثوم أن تفعل بـــالضبط كــل الذى لم تفعله منـــيرة المهديـــة ، أن تصــون نفســها ، وجســمها ، وصورتها ، وأن تكون محترمة ، ولا تغنى ضمن مجموعة ، وأن تقــف على قدميها وحدها فى السماء واستجابت لها السماء ... لقد استطاعت أم كلثوم أن توحد بين العرب من المحيط إلـــى الخليــج علــى آهــة واحدة ... الله يا ست ... عظمة يا ست .

ويستطرد أنيس منصور قائلا : وليلة أم كلثوم هى الليلة الكبيرة عنــد مصممي الأزياء ، ومصففي الشعر ، وسائقي التاكسي ، والمطــاعم ، والسهرات ، والتسجيلات فى البيوت ، وفى اليوم التالى تجد التسجيلات تتدفق فى البيوت من الصباح إلى المساء من الكويت إلى المغرب .

---

(١) مجلة المنصورة ، أدب وفن ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، إقليم شرق الدلتا الثقافى ، ثقافة الدقهلية ، عدد اكتوبر ١٩٩٦ م .

وحين يتحدث أنيس منصور عن الست يتحدث بالصورة ... إذا جاز لى هذا التعبير ... ويكفى الست هذه الكلمة ... كلمة الست التى تعنى عند المصريين الطهارة والنقاء حتى أصبحت علما على أم كلثوم .

والذين كتبوا وتكلموا عن أم كلثوم كثر ، فالكاتب الكبير نجيب محفوظ يسجل بصوته مقدمة فيلم سينمائى للست فى أكتوبر (١٩٩٦م) [١] .

حيث يقول فى كلمته التى يبدأ بها الفيلم :

" إن أم كلثوم مطربة قومية لجميع البلاد العربية ، وكان لها دور فى الأحداث التاريخية التى عاصرتها " .

وحين استمع إليها الرئيس الفرنسى الراحل الجنرال ديجول بفرنسا عبر عن سروره ونشوته لسماعه صوتها قائلا لها :

" لقد لمست بصوتك شغاف قلبى "

ولقد كرمها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومنحها جائزة الدولة التقديرية ، وعبر الرئيس الراحل محمد أنور السادات عن إعجابه بها وبوفاء الشعب المصرى لفنها فقال :

" لم يحدث أن ودع شعب فى العالم سيدة كما فعل الشعب المصرى مع أم كلثوم " .

ووصفت فى الغرب بأنها أشهر من " جان دارك " ، وقالت عنها الدكتورة رتيبة الحفنى :

" إنها باقية خالدة فى أعمالها ، وفنها ، وإنسانيتها ، وتاريخها المجيد " [٢] .

---

(١) ونوهت صحيفة الأهرام عن ذلك فى عددها ٤٠١٣٣ (فى ١٩٩٦/١٠/٢٣) .

(٢) كتاب : أم كلثوم معجزة الغناء العربى ، الصادر عن الهيئة العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ١٩٩٧م .

عشق أمريكي للست

ما زالت أم كلثوم ترتقى شلالات النور فى حياتنا ، ومع صوتها نصعد إلى السماء ، لأن صوتها لا يخلو من إشراقة الحلم الرهيف ، وفيلـم أم كلثوم الذى عرض فى مهرجان قرطاج السـينمائى فـى نهايـة عـام ١٩٩٦م . شاهد على ذلك .

والفيلم من إخراج الأمريكية ميشال جولدمان .

وقد التقاها الصحفى النابه عادل عباس عن الأهرام المسائى وسـجل معها حوارا عن الفيلم [1]، وعلى الصفحة السابعة من الصحيفة يقول :

لم يتوقع أحد من المشاركين فى أيام قرطاج السينمائية هذا النجـاح الذى ينظمه المهرجان ، ولم يكن متوقعا أيضا هذا الكـم الـهائل مـن الحضور ، خاصة من الشباب التونسي الذى تهافت على حضور الفيلـم، بالإضافة إلى الإلقاء المتميز فى الفيلم من الفنان عمر الشريف والفنانـة مني زكريا ، ويسأل الصحفى بعد عرض الفيلم المخرجـة : لمـاذا أم كلثوم ؟ فتقول : حقيقة أنا عاشقة لأم كلثوم لأنها تعتبر بكل المقـاييس الفنية والعلمية أسطورة فنية لن تتكرر ، فصوتها يشـبه مصـر، ولأم كلثوم الروح الموسيقية لـ (إلزافيتجيرالد) ، والحضور الشعبى لـ (اليانور روزفلت) ، وجماهيرية (ألفيس بريسلى) إنها رمز قوى ،يـترجم

(١) نشر فى العدد ٢٠٠٥ ، بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٩٩٦م تحت عنوان : " أم كلثـوم تخطف الأضواء فى مهرجان قرطاج"

الأحاسيس العميقة التى تعتمل فى أعماق بلدها مصر ، وبالتالى الشعب العربى بأسره ، ولن ينافسها أحد حتى بعد ألف عام .

وتضيف **ميشال جولدمان** :

إن هذا الفيلم الذى شرفت بإخراجه هو أول وثيقة عن أم كلثوم تقدم إلى جمهور أمريكى ، واستطاع هذا الفيلم من خلال الحبكة الفنية الفيلمية داخل القرن العشرين أن يجذب المشاهد الأمريكي على مدى " **٧٠ دقيقة** " هى مدة عرض الفيلم ، كما استطاعت الكاميرا تقديم هذه المطربة الفريدة الأسطورة فى قريتها بدلتا النيل ، وفى المقاهى ، والأسواق ، وشوارع القاهرة التى عاشت بها أم كلثوم لإبراز مدى التجاوب الشعبى معها ، تجاوبا يصل إلى حدود العبادة . وعن كيفية حصول **ميشال جولدمان** على التسهيلات اللازمة ، والوثائق ، والمعلومات التى طلبتها عن أم كلثوم لكى يخرج الفيلم بهذه الدرجة من الجودة ، والجمال ، والمصداقية تقول :

أشكر القائمين على المركز القومى للسينما حيث وفروا لى كل الإمكانات الفنية والوثائقية التى مكنتني من تشكيل صورة جميلة وكاملة عن شخصية وفن وحياة الأسطورة أم كلثوم .

وتضيف قائلة :

كما ساعدنى المركز القومى للسينما كثيراً فى البحث والتنقيب ، وتذليل كل العقبات ، حتى خرج الفيلم بهذه الصورة التى أعتقد أنها نالت إعجاب كل الحاضرين سواء من العرب أم الأجانب .

وأم كلثوم إشارة موحية ، توقــظ فــى أرواح المســتمعين شــمس القوافى ، وتفتح أمام أعينهم بوابات العشق ، ولا نسقط مــن حســابنا أفلامها : وداد ، عايدة ، نشيد الأمل ، سلامة ، فاطمة .

وتبقى الست قيثارة الحب والحياة تزهر فى أعماقنا كل يوم .

ويتوصل العلماء بجامعة (هوبتنز) الأمريكية إلى تحديد السبب فى أن لسان المرأة أكثر طلاقة وقدرة على التعبير وتجاذب أطراف الحديـث ، فمن الثابت علميا أن مخ الرجل أكبر حجما من مــخ المــرأة ، إلا أن محتوى مخ المرأة من المادة الرمادية أكبر ، وهى تلك المنطقـــة مــن المخ المسئولة عن طلاقة اللسان والقدرة على التعبير .

لقد تبين من خلال الأبحاث أن تركيز الخلايا فى هذه المنطقة أكـــبر فى مخ المرأة منه فى مخ الرجل .

وكذلك تتمتع المرأة بقدرة على التذكر وروح المبادرة ، تفوق قــدرة الرجل بنسبة ٢٢ فى المائة .

ويرى البروفيسور شلايفر أن ثمة اختلاف كبير فــى تركــيز المــادة الرمادية فى المخ عند المرأة والرجل ، وهى تلك المادة التى تســـتخدم فى التفكير ، ويساعد ذلك فى تفسير أسباب تمتع أم كلثوم بالقدرة علــى الغناء فى رأينا بعد أن عرضنا رأى العلماء فى الجامعة الأمريكية .

ولقد استخلص شلايفر هذه النتائج فى أعقاب اكتشاف علمــى آخــر حيث تبين أنه مع بلوغ الرجل سن الأربعين يضمر ذلك الجزء من المخ

(المادة الرمادية) وهو الجزء المسئول عن التعقـــل والتفكـــير وكبـــح الاندفاع إلى حجم مثيله فى مخ المرأه فى نفس السن .

وقد نشرت صحيفة الجمهورية نتائج هذا البحث تحـــت عنـــوان : المرأة أكبر قدرة على التعبير من الرجل [1] ، مما يدفعنا للقـــول بـــأن المرأة المصرية استطاعت بجدارة فائقة الوقوف فى شموخ وإباء علـــى أرض النبوغ .

تبدع فى العطاء ، وتوغل فى الوفاء ، وتنهل من ينـــابيع المعرفـــة وشتى فروع العلم والفن فحق لمصـــر أن تفخـــر بـــأغلى كنوزهـــا ... عقولها المتميزة ، رجالا ونساء .

(١) فى عددها الصادر بتاريخ الاثنين ٢٨ من أكتوبر ١٩٩٦ م ، على الصفحة ١٢ .

توهـج

أجادت أم كلثوم السباحة فى تيار الإبداع ، فكان لها شـموخها ، ولا يستطيع فرد واحد الوفاء بالحديث عن مجمل إبداعها فكل عمـل مـن أعمالها خيط جميل يضاف إلى غزل مسيرتها الإبداعية ، التى نسـجت لنا مساحة من الحب فى أغنية (**أنت الحب**) من كلمـات خـالد الذكـر شاعر الشباب الراحل **أحمد رامى** ، ومن ألحان موسيقار الأجيال الراحل **محمد عبد الوهاب** ، حيث غنتها عام ١٩٦٥ م .

وإذا استمعت إليها اليوم تجد أنها كما هى لم تفقـد بريقـها بعـد ، وهذه الأغنية تندرج تحت قالب المنولوج الغنائى الدرامى ، وتنتمى إلى مقام " **النهاوند** " ، وهو يمثل القوة والعاطفة الجياشة عند المحب .

استمع إليها حين تقول فى مطلعها :

ياما قلـوب هايمـه حواليـك   تتمنـى تسـعد يـوم برضـاك

... ثم حلق معها فى الأجواء .

ألم يتحفنا أحمد رامى بأغنية (**سهران لوحدى**) بألحان بلبل الدقهلية **رياض السنباطى** ؟ حيث قدمتها لنا الست عام ١٩٥٠م ، وهـى تنـدرج تحت المنولوج الغنائى .

ومقام " **هُزام** " يعد من المقامات التى تميز الموسيقا العربية عـن الموسيقات الغربية ، والعالمية ؛ لأنه يفيض بالشجن والطـرب يقـول مطلع الأغنية :

سابح فى وجدى ودمعى ع الخدود جارى

ويتوهج صوت أم كلثوم بهاء كالشمعة قبل أن تنطفئ .

وفى " **ألف ليلة وليلة** " التى ترنمت بها عام ١٩٦٩م تتسع مساحة الضوء والصوت فى أغنية تندرج تحت المنولوج الغنائى ، وهى من تأليف الراحل الفنان الشاعر **مرسى جميل عزيز** ، ومن ألحان الفنان الراحل **بليغ حمدى** ، وفى مطلعها تشدو :

" **يا حبيبى الليل ، وسماه ، ونجومه ، وقمره ، وسهره** " .

والأغنية من مقام " **نهاوند** " وهو المقام الذى ذكرنا مواصفاته فى أغنية : " **أنت الحب** " .

وتتواتر ألحان (**الست**) تنطق بحروف هى كالجمان فى جمالها ورونقها ، فهى أبلغ من كل بليغ ، لا تنطق بطراً ، ولا تسكت حصراً ، بل تنطق بإرشاد وتسكت باعتبار ، وتعد من أعلام الغناء ، ولها عندنا كل الوفاء ، فهى الإشراق بعد الإظلام ، وهى حكمة السكوت والصمت ، والكلام والبيان ، فينا وشجت عروق فنها ، وعلينا غشيت أغصان ألحانها ، التى تقطع الهموم ، وتفرج الكروب ، وتستبعد الألم ، وتفتح أبواب الإلهام .

وللغناء جواهره

من كلمة (لكوليت خورى) بذات العنوان عاليه كتبت تقول :

" بعض الأصوات الغنائية فى هذا الزمن يطمرها النسيان ، وتغيب عن سطح الحقيقة ، وهناك أصوات تشبه الجواهر ، ولا تغيب أبدا لسبب بسيط هو أنها جواهر ، ولأن الطبيعة لم تكن لتحجبها ، بل لتظهرها تحت شعاع الشمس لكى تتوهج ، فالأغنية الأصيلة ، كلمة تمس القلب ، ولحن يحرك الروح ، وعندما يجتمع هذا اللحن وتلك الكلمة ، تخرج أغنيات يملؤها الصدق ، وتهز وجدان كل من يسمعها " .

" وكوليت خورى " لم تجاوز الحقيقة فى قولها فالبريق الكاذب لا يدوم، كما أن تشويه صورة أم كلثوم من الحاقدين لن يفلح فقد كتب محمد دياب يقول (1) : على مسرح أوديون - تياترو دولو روب - يقدم المخرج الفرنسى جورج لوفودان مسرحية من تأليفه وإخراجه بعنوان: " الليلة الأخيرة " ، وحسب وكالة الأنباء الفرنسية فقد استوحى المخرج الفرنسى فكرة مسرحيته من الإعجاب الكبير الذى كان يكنه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لكوكب الشرق أم كلثوم ، والمسرحية تشير إلى مداومته على حضور حفلاتها الشهرية التى كانت تقيمها فى الخميس الأول من كل شهر ، وانطلاقا من هذا الإعجاب - كما تقول وكالة

(1) فى صحيفة الدستور ، العدد ٨١ بتاريخ ١٩٩٧/٦/٢٥م ، ص ١٠ تحت عنوان : مطربة فرنسية تخصصت فى تشويه أم كلثوم

الأنباء الفرنسية – تخيل المخرج الفرنسى وجود علاقة سرية بين الزعيم الراحل وسيدة الطرب ، واختار المخرج الفرنسى **لوفودان** مواطنة فرنسية اسمها : " **آن الفارو** "لكى تلعب دور كوكب الشرق التى كانت تقدم عائدات حفلاتها لقضايا وطنية ، ويقدم العرض المسرحى " **آن الفارو** " أو أم كلثوم فى منولوج طويل تعرب فيه عن كل ما يثقل قلبها لهذا العشيق الذى هو دائما فى عجلة من أمره ، والذى يبقى بعيدا عنها ، بحكم البروتوكول ،والواجب ، ومصير الشعب ، وهذه ليست أول مرة يتعرض فيها أحد الفرنسيين " **لأم كلثوم** " التى غنت فى أكبر قاعات باريس (**أوليمبيا**) عام ١٩٦٦م لصالح المجهود الحربى .

فقد تخصصت المطربة الفرنسية اليهودية "**سافو** " فى أداء أغنيات أم كلثوم بطريقة مشوهة منها : " **أنت عمرى ، ودارات الأيام و الأطلال** " ونظمت لها أكثر من حفلة لهذا الغرض بإسرائيل .

متحفها وأوسمتها

ما زال صوت أم كلثوم رائداً ، ينصب أفراح الشمس ، ويزيل صدأ الأصفاد ويشعل جمرات العشق ، فبعد ٢٢ عاما من رحيل أم كلثوم وفى عام ١٩٩٧م يتحقق حلم عشاقها إذ اتفق **إبراهيم سعده** رئيس مجلس إدارة رئيس تحرير أخبار اليوم والفنان **فاروق حسنى** وزير الثقافة على إقامة متحف أم كلثوم ، حيث تساهم أخبار اليوم فى المتحف بأهم وأندر اللقطات الصحفية لكوكب الشرق ، وتقدم وزارة الثقافة المكان ، حيث اختارت له " **قصر المانسترلي** " بالمنيل بالقاهرة ، وتستعين بأكبر خبراء تنظيم المتاحف فى العالم ليكون متحف أم كلثوم فى أجمل وأعظم صوره ، ويضم المتحف أحب قطعة مجوهرات إلى قلب أم كلثوم ، وأشهر مقتنياتها على الإطلاق وهو بروش من الماس على شكل الهلال كانت تحرص على الظهور به فى كل حفلاتها ، وهذا البروش كان بخزينة أخبار اليوم ، وكان أحد ورثة أم كلثوم قد تبرع به وسلمه للكاتب الكبير الراحل **مصطفى أمين** .

تنشر أخبار اليوم [1] صورة **للهلال الماسى** الشهير وهو يتصدر مجوهرات متحف أم كلثوم ، وتكتب الصحفية إلهام **أبو الفتوح** تحقيقا تحت عنوان: **أم كلثوم فى قصر المانسترلى** ، وينفرد المصوران **مكرم جاد الكريم** ، و**حسين القاضى** بصور جميلة للمتحف تنشر على صدر الصحيفة .

---

(١) أخبار اليوم " بتاريخ ١٩٩٧/٨/١٦م ، ص ١٠ "

فمنذ وفاة أم كلثوم فى (٣ فبراير عام ١٩٧٥م) والكل يتحدث عن أهمية إقامة متحف يخلد ذكراها ويحتفظ بمقتنيات أشهر مطربة فى الشرق الأوسط ، والتى تربعت على عرش الغناء لأكثر من نصف قرن ، ووصلت شهرتها إلى آفاق العالم كله ، وحققت مالم تحققه أية مطربة أخري فى تاريخ مصر ، فقد شاركت أم كلثوم الأمة كلها محنة النكسة العسكرية عام ١٩٦٧م وجمعت التبرعات للمجهود الحربى ، وسافرت إلى الدول العربية تجمع الأموال وتخصص الحفلات لكى تنهض مصر من كبوتها ، وغنت على مسرح الأولمبياد الشهير بباريس أغنية " **الأطلال** " وحققت حفلاتها ٢٠ مليون فرنك فرنسى وكان هذا المبلغ يعادل ثلاثة أضعاف ما حققته " **ماريا كالاس** " أشهر مطربات الأوبرا فى العالم عندما غنت على نفس المسرح .

ولقد تبرعت أم كلثوم بعائد حفلها بباريس (٢٠ مليون فرنك فرنسى) للمجهود الحربى المصرى كما كرم ملوك ورؤساء الدول أم كلثوم ومنحوها الأوسمة والنياشين فى لقاءاتهم معها وفى حفلات أقاموها لهذا الغرض لدرجة أنها كانت أكبر سيدة فى العالم تحمل أوسمة ونياشين تم جمعها فى ثلاث حقائب سفر كبيرة عقب وفاتها ، أما المتبرع بالبروش الماسى لأخبار اليوم فهو د. **محمد حسن الحفناوى** .

مكان متحفها

قصر المانستيرلى الذى خصص كمكان لمتحف أم كلثوم أقامه حسن فؤاد باشا المانستيرلى .

وكان محافظا للقاهرة عام ١٨٥١ ميلادية فى عهد الخديوى عباس حلمى .

وسمى بالمانستيرلى نسبة إلى مناستر بمقدونيا مسقط رأس مؤسس القصر .

ويقع القصر فى الركن الجنوبى الغربى فى جزيرة الروضة ويتكون من مجموعة مبان وهى القصر ، وملحق الحرملك ، ومسجد مدفون به المانستيرلى باشا .

وقد تم بناء وإنشاء المبنى بنظام الحوائط الحاملة ، وزينت حوائطه ، وأسقفه بزخارف ملونة يتضح فيها التأثر بفن " الركوكو " أحد الفنون التى انتشرت فى ذلك الوقت ، بالإضافة إلى التأثر بالفن الفرعونى ويظهر ذلك فى نهاية الواجهات الأمامية ، والقصر به مقياس النيل الذى أقيم منذ ١١٤٠ عاما ، وبه مبنى ملحق مساحته ٣٥٠ مترا أقيم بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وقد تقرر تحويل هذا المبنى إلى متحف لأم كلثوم افتتح فى ديسمبر ١٩٩٧م ليضم الهلال الماسى لأم كلثوم ، ونوتة محمد على القصبجى ، وجواز السفر الديبلوماسي للست ، وعشرات النياشين الخاصة بها ، وهذه

المعروضات تتصدر المتحف الذى أقيم على أحدث النظم العالمية ، وقد أصدر وزير الثقافة قراراً بأن يتولى صندوق التنمية الثقافية ترميم القصر وتحويله إلى قصر ثقافة مع إعداد متحف أم كلثوم حيث تم استيراد التجهيزات المتحفية وأجهزة تأمين المتحف وفاترينات العرض ذات المواصفات العالمية ، مع تشكيل فريق عمل للبحث عن فضيلت أم كلثوم ، كما احتوي المتحف على مكتبة تضم الكتب التى تناولت سيرتها الشخصية والأبحاث والدراسات الموسيقية بجميع اللغات ، بالإضافة إلى مكتبة سمعية لجميع أغانيها منذ بدايتها فى العشرينات حتى وفاتها .

ويضم المتحف أحدث أجهزة الاستماع التى تتيح لكل مستمع أن يسمع ما شاء دون أن يحدث ضوضاء للآخرين ، مع تخصيص قاعة بالمتحف لعرض الصور النادرة التى تحكى مشوار حياة أم كلثوم ، وأهم لحظاتها التاريخية ، وقد وصلت التكاليف حوالى ٢ مليون جنيه ، كما أن المبنى يتمتع بارتفاع كبير للأسقف مما يتيح استثمار هذه الارتفاعات ، وكان المبنى مستغلا من قبل لجمعية موسيقية أهلية تجتمع به شهريا للاستماع للموسيقا ، والمتحف على المستوى الذى يتناسب مع مكانة أم كلثوم الموسيقية والقومية فهو يطل على أجمل موقع على نيل مصر ليروى القلوب الصادية للفن وحتى تطل السكينة من خدرها لتعشش فى حنايا القلوب والصدور ، ففن أم كلثوم لا يتبدد بالآلاء الباقية حيث الأداء الجميل ، والارتقاء بالحس النبيل باختيارها المتميز من الألحان والكلمات .

فيلا الزمالك

كانت أم كلثوم محبة لمصر والعروبة وقد شارك فى جنازتها ملايين العشاق والمحبين من أنحاء الوطن العربى ، وبعد رحيلها قررت الدولة تكريمها فأصدر الكاتب الكبير **يوسف السباعى** وزير الثقافة وقتها – أصدر قرارا بشراء فيلتها بشارع أبى الفدا بالزمالك بالقاهرة ، وتحويل الفيلا إلى متحف يحمل اسمها ، ويتم الاحتفاظ فيه بكل مقتنياتها ، وكان معروفا أن كوكب الشرق تحتفظ بكل فساتينها التى ظهرت بها فى حفلاتها فى حجرة ببدروم الفيلا ، وأن مجوهراتها تحتفظ بها فى البنك إلا ما تستخدمه بشكل دائم ، كما كانت تحتفظ بشكل دائم بكل النوت الموسيقية ، والقصائد والأغانى بخط كبار الشعراء ، والموسيقيين الذين عملوا معها ، ثم تقدم أحد الأثرياء العرب للورثة واشترى فيلا الزمالك بمليون و ٨٠٠ ألف جنيه ولم تستطع وزارة الثقافة تخصيص هذا المبلغ .

وتم للمشترى إبرام الصفقة مع الورثة ثم باع الفيلا إلى مليونير مصرى ، قام بهدمها وبناء برج مكانها ، وبيعت كل شقه دون أن يترك المالك مكانا لمتحف أم كلثوم .

وقام الورثة بتقسيم الميراث وكادت مقتنيات أم كلثوم أن تندثر ، ولكن فى ديسمبر عام ١٩٨٥م حضر د. **محمد حسن الحفناوى** ابن زوج السيدة أم كلثوم إلى مكتب الراحل **مصطفى أمين** وتبرع بأشهر مجوهرات

الست في حملة سداد ديون مصر ، ويومـــها كتـب مصطفـى أميـن في " **فكرة** " قائلا :

الذين حضروا حفلات أم كلثوم كانوا يلاحظون أنها تضـع " **بروشـا** " مرصعا بالماس على شكل هلال حول جيدها ، هذا الهلال وصل إلى ليلة القدر من أحد أقرباء أم كلثوم ، الذى رفض ذكر اسمه ، وحضر وقـال إنه يقدم هذا الهلال إلى ليلة القدر ليشارك به في تسديد ديون مصـر ، وأضاف أنه يعتقد لو أن أم كلثوم كانت على قيد الحيـاة لقدمـت هـذا الهلال المرصع لهذا الغرض النبيل ، وكانت وزارة الثقافة قـد أقـامت أول معرض لمقتنيات أم كلثوم في ذكراها عام ١٩٩٠م وضم المعـرض آنذاك فساتينها ، والكثير من مقتنياتها ، وكانت موجودة لدى ابن اختها " **الدسوقى إبراهيم** " وكان ضابطا سابقا بالقوات المسلحة ، وبعد انتهاء المعرض استرد ابن أختها هذه المقتنيات ، ويحتفظ باقى الورثة بالكثير من مقتنيات الست كما احتفظ **د. محمد الحفناوى** المتـبرع بـالبروش ، احتفظ بالنياشين التى حصلت عليها الست من ملوك العالم والرؤسـاء ، وعليها توقيعات هؤلاء الملوك والرؤساء ، وقدم معظمها للمتحف الـذى يضم مقتنيات أم كلثوم ويحكى تاريخها ويغزل خيوط الشـمس لتنشـر أثوابها على الوطن .

مئوية أم كلثوم

فى احتفالية المائة عام علـــى ميـــلاد أم كلثـــوم يكشـــف المـــؤرخ الموسيقى **كمال النجمى** عن خطأ فى هذه الاحتفالية ويقول :

إنها ولدت فى عام ١٨٩٨م، والذى ولد عام ١٨٩٧م هو **محمد عبد الوهاب** الذى كان ماهرا فى إخفاء تاريخ ميلاده من خلال تغيير جوازات السفر ، واعتمادا على عدم وجود شهادات ميلاد عند ولادتـــه ، أى أن إحتفالية عام ١٩٩٧م كانت فى موعد غير صحيـــح وفيـــها احتفلـــت فرنسا بأم كلثوم مع مصر ، وطالب الكتاب والنقـــاد بإذاعـــة الأغـــانى الممنوعة فى الإذاعة والتلفاز ، وهى الأغـــانى التـــى ســـجلت تـــاريخ مصر ، وعبرت عـــن كثـــير مـــن الأحـــداث السياســـية والوطنيـــة ، والاجتماعية ومنها :

" **نشيد الجلاء** ، **صوت الوطن** ، **والله زمان يـا سلاحى** ، **صوت السلام** ، **فرحة القناة** ، **ثوار** ، **بطل السلام** ، **منصورة** ، **خطاب إلى القائد** ، وأغنيـــة فى رثاء الرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** بعنوان : "**لى كلمة أخيرة إليه** " يقال أنها اختفت من مكتبة الإذاعة .

لقد سجلت أم كلثوم العديد من الأغانى الوطنية فى مختلف المراحل وفى العصر الملكى والناصرى ، فهى عـــام ١٩٢٧م وكـــانت مطربـــة ناشئة سجلت أسطوانة من شعر **أحمد رامى** وألحان **القصبجى** وفى هـــذه الأسطوانة تغنى فى رثاء **سعد باشا زغلول** ، ثم بعد ذلك غنـــت أم كلثـــوم للفدائيين فى القناة حتى قيام الثورة فى يوليو عام ١٩٥٢م .

ولقد ساندت الثورة عند قيامها بفنـــها وغنائـــها ، فكـــانت أول أعمالها مع **أحمد رامى** ، **ورياض السنباطى** حيث غنت أغنية : " **مصر التى فى خاطرى** " وفى محاولة اغتيال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وهو يخطب فى المنشية بالإسكندرية غنت : " **يا جمال يا حبيب الملايين** " وفى بناء السد العالى تأتى قصيدة عزيز أباظة عن السد العالى :

كان حلما فخاطرا فاحتمالا ثم أضحى حقيقة لا خيالا

ثم جاءت أغانى عام ١٩٦٧م وقصيدة تطالب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعدم التنحى عن رئاسة الجمهوريـــة ، وبســـبب ظروفـــها الصحية فى السبعينات لم تتمكن من الغناء للعبـــور وأرســـلت اعتـــذرا للرئيس الراحل **محمد أنور السادات** ، ويطالب الكـــاتب الصحفـــى **أحمد بسيونى** بإذاعة هذه الأغانى ووضعها على خريطة الـــبرامج الإذاعيـــة والتلفازية ، ويشاركه الرأي الكاتب **صلاح عيسى** الذى يرى فى حجـــب هذه الأغانى جريمة بكل المقاييس ، ويقـــول **حمدى الكنيسى** رئيـــس الإذاعة :

إنه من غير المقبول إذاعة أغان مرتبطة بشـــخصيات أو مناســـبات بعينها إلا فى أوقات محددة تناسب هذه الأحداث .

وتبقى الأغانى الوطنية فى حالة غياب لحين إشعار آخر

تغريد

لقد طمست معالم بارزة فى أغانى أم كلثوم التى غنت هذه الأبيات احتفالا بزواج الإمبراطورة فوزية من عاهل إيران ذلك الاحتفال الذى أقيم بدار الأوبرا سنة ١٩٣٩م والأبيات لشاعر مصر الكبير وشاعر العروبة المرحوم على بك الجارم وهى فى ديوانه تحت عنوان **تغريد** ، وفيها يقول :

لمح البشر باسما بالأمانى
وشدا الصفو صادحا بالأغانى

طرب هز كل عطف وجيد
فكأن الوجود من ألحان

أزدهى مصر واملنى الكون تيها
بالأمير النبيل من إيران

أمة مجدها أطل على الشمـ
ـس فحيا سناءه الفرقدان

قهرت صولة الزمان وكانت
قبس النور فى شباب الزمان

إن مصرا وإن إيران فى المجـ
ـد تليدا وطارفا أخوان

أكـبر (ابــن الحســين) أهــرام مصـــر

وشـــدا (البحـــترى) بـــالإيوان

ســـعدا بـــالقران فـــى عـــزة المـلـــ

ـــك وفـى ظـــل دوحـــه الفينـــان

فـــالتقى (بالرضـــا) (وبـــالفوز) تاجـــا

ن وبـــالود والصفـــا أمتـــــان

درة مـــن كنـــوز مصـــــر أضـــاءت

فـــوق تـــاج الملـــوك مـــن ساســـان

ونبـــات زكـــا بـــــروض (فـــؤاد)

بـــين ظلـــين مـــن نـــدى وحنـــان

إن عـــهد (الفـــاروق) عـــهد ســـعود

باســـم الثغـــر نـــاضر الأفنـــان

ملـــك زانـــــه الجـــــلال وطـــافت

حولـــه هالـــة مـــن الإيمـــان

قـــد ســـرى حبـــه إلى كـــل قلـــب

وجـــرى حمـــده بكـــل لســـان

فالطرب هز كل عطف (جانب) وجيد (عنق) ويرحب بالأمير النبيل (محمد رضا بهلوى شاه إيران) الذى حيا سناءه الفرقـدان (وهما نجمان قريبان من القطب) ، ثم يذكـر المجـد التليـد (القديـم) والطـارف

(الحديث) ويذكر ابن الحسين الشـــاعر المتنبـى ، والبحترى الشــاعر العباسى فى مدح الأهرام بمصر ، وإيوان كسرى ملك فارس ، ثم يذكـر فى البيت التاسع الرضا (رضا بهلوى) والفوز (إشارة إلى فوزية) ، وفى البيت العاشر الملوك من ساسان ، وساسان بلـــدة بـإيران ، وإليـها نسبت الدولة الساسانية .

والأبيات فيها خيال متوثب ، وكلماتها من ذؤابـة الكـلام العربـى الشعرى الكبير ، والذين يطلبون حذف هذه القصيدة لأنها تحمل المـدح للملك لا يعرفون القيمة الحقيقية لهذا الشعر ، الذى يمثل فترة زمنيـة من التاريخ عاشها الشاعر وقدرتها أم كلثوم التى شغلت الدنيا وشـغلت الناس .

وطاقة الإصرار فى نفس أم كلثوم كانت قوية جدا لأنها تكونت عبر طريق شاق غير معبد ، وكانت تعرف أن جمهور المدينة لن يستقيم بين يديها إلا إذا غنت له ما يستهويه ولكن إصرارها على التمسك باللون الدينى ضرب المثل على قوة الإرادة التى هى جزء من قوة الشخصية .

لقد صممت على أن تتحدى هذا الجمهور الذى تعرف أنه رشيد فيما يختص بالأذواق الغنائية ، ونجحت فى التحدى وفرضت عليه لونها الذى تجيده ، وتعرف أنه هو الأليق بالشعب ، إذ هو تراث هذا الشعب.

يقول محمد عبد الوهاب :

إن صوت أم كلثوم كان صوتا زعيما بمعنى أنه حين يتكلم أمامك فلابد أن تنصت وبدقة خوفا من أن يفوتك شئ هام مما ينطق به هذا الصوت .

وفى دراسة ضافية عن أم كلثوم يقول الكاتب الكبير **فتحى غانم** :

" ولكنها صاحبة الموهبة الفذة ، وابنة الشعب الحقيقى من الفلاحين الفقراء ، أولئك الذين اكتشفوها ، وكانوا أول من منحها حبه . لقد استطاعت أم كلثوم أن ترتفع فوق الطموح الضيق لأفراد الطبقة المتوسطة ، وخاضت غمار الالتزام الفنى للمبادئ ، والمثل العليا ، فمنحها فنها خصوبة وحيوية متجددة ، وارتفعت إلى أعلى القمم مع كل خطوة تتقدمها مصر كطليعة عربية للثورة وقاعدة للتقدم والنضال ...

وهى تعلم أن جمهورها يهتم قبل كل شئ بشخصها هـــى ممثـــلا فـــى صوتها ، قبل أن يهتم بكلماتها ، أو بألحانها ، ولذلك فرضت أم كلثـــوم صوتها ، على اللحن ، كما كان لها الحق الأول والأخير فـــى اختيـــار الكلمات التى تغنيها وتعديلها مهما كان الشاعر الذى يؤلف أغانيـــها ، شوقى ، رامى ، بيرم التونسى " .

كما لا نعدو الحقيقة إذا قلنا :

" أنها شاركت فى تلحـين وتـأليف أغانيـها بمـا أحدثتـه فيـها مـن تغـيرات مختلفة ، وليس أدل على ذلك من سماعك لأم كلثوم وهى تغنى اللحن الواحـد ، فتطيل فيه لمدة ساعتين إذا أرادت ، أو تختصره لربع ساعة إذا أرادت " [1] .

---

(١) وانظر : خيرى شلبى : صحبة العشاق ، رواد الكلمة والنغم ، الهيئة المصريـة العامة للكتاب ، ص ٩٨ .

أم كلثوم
والشيخ أبو العلا محمد

وفى كتاب الصحفى عبد النور خليل (**رجال فى حياة أم كلثوم**) يحدثنا عن صاحب المكانة الأولى فى حياة أم كلثوم وهـو الشـيخ المطـرب **أبو العلا محمد** .

ففى الوقت الذى ولدت فيه أم كلثـوم وتـترعرعت وكـبرت فـى قرية (**طماى الزهايرة**) كان الشيخ **أبو العلا محمد** علامـة بـارزة فـى عالم الغناء .

وكان كل مطرب جديد يريد أن يثبت مكانته وجدارته بالغناء ، عليه أن يدلل على موهبته الصوتية بأدائه لقصائد الشـيخ **أبى العـلا محمـد** وهى لفحول الشعراء وكان الشيخ أبو العلا من سكان حـى الناصريـة بالقاهرة ، وهو نفس الحى الذى ولد فيه شاعر الشباب الراحـل أحمـد رامى ، لذلك ظل رامى وأبو العلا صديقين حميمين طوال عمريهما ، وكان صوت الشيخ يهز أعماق أم كلثوم وهى تسمعه فى الأسـطوانات عنـد عزيزة بنت العمدة ، وحفظت عددا كبيرا من قصائده ، وتمنت لو أنـها قابلت يوما صاحب هذا الصوت .

وفى يوم ما كانت أم كلثوم تقف مع والدها الشيخ إبراهيم وأخيـها الشيخ خالد والفرقة على محطة القطار (بالسنبلاوين) ، فسمعت مـن يقول وهو يهرول : (**الشيخ أبو العلا محمد**) هنا فى السـنبلاوين ولـم تصدق أذنيها ، وزادت ضربات قلبها فى لهفة ، ورأت والدهـا يسـرع

إلى الشيخ ليصافحه فى احترام ، وهرولت فى أعقاب والدها لتلحق بــه ، وأمسكت بيد الشيخ بين يديها ، وراحت تحدثه عــن أغانيــه التــى تحفظها ، وعن إعجابها به ، وتطلعها لتلك اللحظة التى تلقــاه فيــها ، ولم تترك يده عندما تحول الشيخ عنها إلى مستقبليه ومريديــه الذيــن أحاطوا به ، وألحت عليه وهى تصر على أن يذهب معها هــى وأبيــها إلى بيتهم فى قرية " طماى الزهايرة " لتناول الغــداء ، ووجـد الشــيخ نفسه مضطرا إلى الاستجابة لإلحاحـــها ، ولفتــت انتباهــه بحديثــها المتحمس عن أغانيه التى تحفظها ، وقبل الشيخ الدعوة ، وأرغمـت أم كلثوم أباها على إلغاء كل ارتباطاته فــى ذلــك اليــوم ، وكــان لقــاء المصادفة على رصيف محطة السنبلاوين أهم حدث فى حياة أم كلثـــوم فهذا اللقاء هو الذى حدد ملامح مستقبلها حيث أقنعها الشيخ بـــالنزوح إلى القاهرة ، وتعهدها فى البداية ، ولم يفارقها حتى آخر يـــوم فـــى حياته إذ مهد لها بالظهور على خريطة ساحة الغنـــاء والطـرب فـــى القاهرة فى بداية العشرينات ، خاصة بعد أن أعجــب الشــيخ بآدائـــها وصوتها وموهبتها ، ثم كان انتقال أم كلثوم إلـــى القــاهرة فـــى مارس ١٩٢٣م ، وكان الشيخ أبو العلا هــو أول مــن تلقــى أســرتها واختار لإقامتها حجرة فى فندق " جوردون هاوس " تطل نوافذهـــا علـــى شارع فؤاد (٢٦ يوليو الآن) وعلى سينما (جوزى بالاس) .

أم كلثوم ورامى

لم ينقطع الشيخ أبو العلا محمد عن زيارته اليومية لأم كلثوم التـــى أصبحت تلميذته ومطربته المفضلة ، تقول الست عن هذه الزيارة :

" كنت أجلس بجانب الشيخ عندما يأتى لزيارتنا فى الفندق ، وكنت أحب أن أسمع حديثه ، وأطلب منه بإلحاح أن يغنى لى ، وكم من ليـال عديـدة تنقضـى على ، وأنا ساهرة ، أسمع أحب الأصوات إلى قلبـى ونفسـى ، ويطـير النـوم مـن عينى وهو يغنى لى " .

وفى ليلة من الليالى جاء الشيخ وهو يحمل لها اســطوانة جديـدة سجلها لأغنية " الصب تفضحه عيونه " قائلا : إنه اختـار الأغنيـة مـن ديوان لشاعر شاب يسكن بجواره فى الناصريـة اسـمه أحمد رامى ، ورفضت الإستماع للأسطوانة ، وطلبت منـه أن يغنـى لـها الأغنيـة بصوته ، ومضى الشيخ ينقل عينيه فى الحجرة حتى التقطـت عينـاه عودا مسندا على الحائط ، فقام إليه يتناوله ويخرجه من كيسـه ، وراح يضبط أوتاره ، وهو يحكى لها عن جاره أحمد رامى الذى أهداه نسـخة من ديوانه قبل سفره فى بعثة دراسية إلى باريس ، وقال لها :

" إنه اختار القصيدة ولحنها ، وغناها ، وهو مأخوذ بـها تمامـا ، وانسابت الأنغام تملأ الحجرة ، وطلب منها الشيخ أن تغنى معه فغنت .

وكان الشيخ أبو العلا يذهب مع أم كلثوم كل يوم ثلاثـاء إلـى مسـرح (ماجستيك) حيث كانت تغنى وصلتها التى اتفق معها عليـها الفنـان على الكسار ، وكانت صلتها بالشيخ أعطتها حصانة ضـد المؤامـرات

العنيفة التى تعرضت لها من مطربات القمة ، وكانت أشدهن فى التآمر والحرب سلطانة الطرب يومها منيرة المهدية ، وكان الشيخ وسيلة لتعريف الست برامى الذى لعب فى حياتها أبرز دور منذ اللقاء الأول ، وقد حفظت الست أغنية " **الصب تفضحه عيونه** " وعلم رامى فى باريس ، وطلب من الشيخ معرفة المزيد عن هذا الحدث ، فمدح الشيخ عبقرية الست ، وحرص رامى على المجئ للقاهرة من باريس فى أول إجازة دراسية ، حيث اصطحبه الشيخ إلى **مسرح الماجستيك** وفيه تغنى الست وجلس رامى فى الصف الأول ، وأخبر الشيخ الست بوجود رامى لتغنى أغنية " الصب تفضحه عيونه " فغنت وأبدعت وبعد الغناء اصطحب الشيخ أبو العلا شاعرنا رامى ، وعرف الست به ، فكان هذا اللقاء أروع قصة وفاء ، وإثارة ، وحب استمرت أكثر من نصف قرن — وظلت حية متدفقة [1] .

---

(١) كما يروى الكاتب الصحفى عبد النور خليل صاحب كتاب " رجال فى حياة أم كلثوم " .

المعروف أن محمد طلعت حرب هو الأب الشرعى للاقتصاد المصرى ، وكان من أبرز الشخصيات التى لعبت دورا هاما فى بناء الشخصية القومية بعد نجاح ثورة ١٩١٩م ، ولم يقتصر اهتمامه على الاقتصاد الوطنى بل امتد إلى الفن وأنشأ شركة مصر للتمثيل والسينما التى أنشأت بدورها استوديو مصر ، ودار استوديو مصر للعرض السينمائى .

وكان طلعت حرب صديقا شخصيا لأكثر فنانى مصر وأدبائها ومثقفيها ، وكان أول احتكاك عملى بين أم كلثوم وطلعت حرب ، حين طلبت مشورته ، وحدثته عن مشكلتها مع شركة الأسطوانات التى تعاملها على أنها مطربة درجة ثانية ، وسألت طلعت حرب الحل فقال لها : " افسخى العقد مع الشركة " .

وكان يهتم بأم كلثوم بصفة خاصة لفنها الراقى وصوتها الرخيم ، وحين أخبرته أنها لا تملك قيمة الشرط الجزائى للعقد وقدره (٢٠٠٠جنيه) طلب طلعت حرب من مدير البنك أن ينفذ إجراءات سلفة للآنسة أم كلثوم قدرها (٢٠٠٠جنيه) وكان القرض بدون ضمان ، ليدخل السكينة فى نفس أم كلثوم ، وطلب منها عدم السماح لأحد ليعاملها على أنها من الدرجة الثانية ووعت أم كلثوم الدرس ، وجعلته القانون الذى يحكم حياتها حتى فى أحلك الظروف والأوقات التى تعرضت فيها لحرب الشائعات والأكاذيب ، والافتراءات التى خططت لها

منيرة المهدية ، واستخدمت فيها كل ما تملك من أسلحة ، مع استخدام عبد المجيد حلمى صاحب مجلة " **المسرح** " لاختلاق هذه الأكاذيب والشائعات ، لنشرها أسبوعيا فى مجلته ، وكلما اشتدت هذه الحرب ، كلما أحست أم كلثوم بالضيق والغضب ، وكانت تستعيد قول طلعت حرب ورأيه فى ذلك اليوم الذى منحها فيه القرض من البنك ، إذ كانت كلماته لها تدخل إلى قلبها الطمأنينة ، والراحة ، والهدوء كما تمنحها الثقة بالنفس ، وبالمستقبل ، وظلت تعى درس طلعت حرب لها على أنها مطربة القمة ، وسيدة الغناء والطرب ، ولم تتهاون ، أو تتنازل مرة واحدة عن هذه المكانة ، وضمنت لنفسها الخلود .

ونمضى مع صفحات " **عبد النور خليل** " نقتبس أضواء سيدة الغناء ، ونفتح دربا فى الأيام ، ويتقاطر الغناء الكلثومى ، ويتقطر من كأس القلب ، وتسافر الكلمات فى هودج من الندى تجمع ذرات الضوء ، وتعلن استمرار ذلك التكوين السحرى الكلثومى .

القصبجي والست

كان الموسيقار الملحن عـــازف العـود محمـد علــى القصبجــى (١٨٩٢/٤/١٥ -١٩٦٦/٣/٢٥) ممن أسعدهم الحظ بسماع المغنيـــة الريفية الجديدة ذات العقال ، فسمع لأول مرة فى حياته صوتا له وقـــع السحر فى النفس ، ينشد قصائد فى مدح الرسول مثـل : " **مـولاى كتبـت رحمة الناس عليك** " واختتمت حفلها بأغنية الملحن إبراهيم فوزى : " **فـى غرامه ياما شفت عجايب** " فأعجب القصبجى بحـــلاوة صوتـــها ، ورقـــة أدائها ، وغمرته موجة من الفرح لأنه اهتـــدى إلـــى الصـــوت الـــذى يستطيع أن يؤدى أسلوبه الجديد فى التلحين على النحو الذى يجيـــش فى خياله ، وهو اللون الجاد الكلاسيكى .

وعهد إلى القصبجى بتلحين أول أغنية للست عام ١٩٢٤م وهـــى : " **آل ايه حلف ما يكلمنيش** " وظل يعاونها حتى آخر العمر .

ولقد لحن القصبجى لأم كلثوم سبع قصائد هى : **إن حـالى فـى هواهـا عجـب** (١٩٢٦م) ، **وانظـرى** (١٩٢٦م) ، **وإن يغـب عـن مصـر سـعد** (١٩٢٧م) ، **وأيقظت فـى عواطفـى** (١٩٢٨م) ، **و أيـها الفلـك علـى وشـك الرحيل** (١٩٣١م) ، **ويا غائبـا عـن عيونـى** (١٩٣١م) ، **ويـا فـؤادى عَـن ألحان الوفاء** (١٩٣٩م).

واشترك القصبجى مع السنباطى فى تلحين قصائد أوبرا عايدة مـــن فيلم عايدة فى أوائل الأربعينات .

ولمحمد القصبجي الفضل في تمكن أمهر عازفي العــود تلامذتــه : **محمد رياض محمد السنباطي ، محمـد عبـد الوهـاب ، فريـد الأطـرش ، عبـد الفتاح صبري** الذي خلفه في تخت **أم كلثوم** ، وكان القصبجي أول أميـــن لصندوق نقابة الموسيقيين في عهدها الأول وتحت رئاســـة أم كلثــوم النقيبة الأولى ، وهو من أوائل من ألف الموسيقى الآلية غير التقليديــة وفي مقدمتها رائعته (**ذكرياتي**) سماعي راست ، ولا يمكن أن نتحـدث عن القصبجي دون أن نذكر تجديداته في المونولوج الغنائي بداية مـــن " **إن كنت أسامح وانسى الأسية** " إلى : " **رق الحبيب** " وبرحيـــل القصبجـــي كانت أم كلثوم تظهر على المسرح في حفلاتها ويشاهد الجمهور مكـــان القصبجي خاليا وظل كرسيه الخالي موجودا على المسرح فـــي التخـت كشاهد على وفاء الست لأنه لعب دورا هامـــا فـــي تثبيـت خطواتـــها الأولى وهي في عنفوان شـــبابها حتـــى أصبـــح منـــذ عـــام ١٩٢٨م ملحنها الأول وأحد أركان فرقتها الموسيقية حتى أعجزه المرض عـــام ١٩٦٤م [١] .

---

(١) وانظر : عزيز الشوان : الموسيقا للجميع ، الهيئة المصرية العامـــة للكتــاب ١٩٩٠، ص ٢٩٤ .

تحرير الغناء

كان الغناء العربى عندما بدأت أم كلثوم خطواتها الأولى بالقاهرة فى العشرينات قد وصل إلى طريق مسدود ، وتجمدت حناجر المطربات والمطربين على الطريقة التركية أو العثمانية فى الأداء مشوبة بطريقة الأداء الغجرية كما عرفها الريف المصرى - بوجه خاص فى ذلك العصر وتوقف الغناء عند تواشيح الشيخ **محمد المسلوب** ، وأدوار **محمد عثمان** وطقاطيق **محمد على لعبة** ، وسيطرت على ساحة الغناء فى القصور والسرادقات ، وعلى امتداد الريف والحضر ، أصوات أفسدها السيرعلى الطريقة (**العثمانية**) حتى فسدت أذواق المستمعين لطول إدمانهم سماع الغناء بهذه الطريقة التى كان آخر أبطالها الكبار الشيخ سلامة حجازى والسيدة منيرة المهدية .

وقد لبثت أسطوانات الشيخ سلامة حجازى تسيطر على الأسماع حتى بعد وفاته سنة ١٩١٧م ، أما منيرة المهدية فلبثت سلطانة على ليالى القاهرة إلى منتصف العشرينات .

ثم جاءت ثورة ١٩١٩م الشعبية فى مصر فمهدت الطريق تدريجيا للخلاص من الصراخ العثمانى ، والعويل الغجرى والعجمة الفارسية ، وكل تلك الأخطاء الفنية التى تشكلت على أساسها أوتار حناجر المطربات والمطربين فى ذلك العصر حتى ليخيل إلينا الآن حين نستمع إلى أسطوانات سلامة حجازى ومنيرة المهدية ، أن بعض

مطربى " **الروملى** " القدماء أو المولوية الإيرانيين فـــى تكايـا القـــرن التاسع عشر ، أو الغجر التائــــهين فـــى الأرض هـــم أصحـــاب تلـــك الأسطوانات .

ومست التغيرات الاجتماعية والثقافية فن الغناء بعد ثــورة ١٩١٩م فظهر **سيد درويش** ، ثم **محمد عبد الوهاب** ، ثم ظهرت **أم كلثوم** ، وهـؤلاء هم العلامات الثلاث الكبرى فى الغناء المصرى خـــلال نهضتـــه حتـــى اليوم ، مع من جـــاء بعدهـــم مـــن كبـــار الملحنيـــن ، والمطربيـــن ، والعازفين ... وقد كان هذا التحول الفنى عاصفة تاريخيـــة ، اكتســـحت الهشيم القديم .

وكانت **أم كلثوم** فى الغناء رمز هذا التحول ، والمثل المتوهج أمـــام عيون المطربين والمطربات فضلا عن ملاييـــن المســـتمعين ، ومنـــذ أواخر العشرينات بدا واضحا أن مستقبل الغناء المصرى والعربى بوجه عام ، متعلق بالصوتين الجديدين **أم كلثوم** ، و**محمد عبد الوهاب** حتى قال أمير الشعراء **شوقى** يخاطب الملك **أحمد فؤاد** عند افتتاح معهد الموســيقا العربية الذى بنى على الطراز الأندلسى وســـط القـــاهرة فـــى أواخـــر العشرينات :

لما بنيت الأيك وأستوهبته
بعث (الهزار) وأرسل (الورقاء)

والأيك هنا : هو معهد الموسيقا يشبهه شوقى بالأيكة التـــى تـــأوى إليها الأطيار المغردة ، أما الهزار بفتح الهاء - فهو محمد عبد الوهاب الذى كان صوته حين ذاك فى قمة صفائه ونضجه قبل أن يعدو عليــــه

الزمان ويفقده خصائصه الجمالية ، وأما الورقاء أى الحمامة الساجعة فهى أم كلثوم " [1] .

وفى المعجم الوسيط : الأيكة : الشجر الكثير الملتف ، ويقال : فلان فرع من أيكة المجد ، والجمع أيك ، وأم كلثوم لقبها أمير الشعراء شوقى بجارة الأيك فى قوله :

يا (جارة الأيك) أيام الهوى ذهبت

كالحلم آها لأيام الهوى آها

والهزار فى المعجم الوسيط : طائر حسن الصوت " فارسى معرب " ويقال له : هزار دستان ، لأنه يغنى ألحانا كثيرة ، وهزار فى الفارسية بمعنى الألف . وهو العندليب .

بقى أن نقول إن أم كلثوم وملحنيها قد وضعوا الأسس الصحيحة المتطورة للغناء العربى ، وقد سبقهم سيد درويش بعمل قليل فى هذا المضمار ، وإن كان على قلته عملا طيبا مثمرا ، وعاصرهم محمد عبد الوهاب بعمل غير قليل تجاوبت أصداؤه من بداية أمره حتى نهايته ، ولاشك أن هذه الأسس التى اشتركت فيها هذه العبقريات كلها سوف تبقى تراثا للأجيال العربية القادمة فى مراحل الإبداع التى ستتواصل فى فن الغناء العربى .

وليست أم كلثوم على علو شأنها إلا مرحلة فى هذا الفن العظيم ، تتلوها مراحل لا تنقطع إلى آخر الزمان ... ولقد غنت أم كلثوم تسعة عشر دورا عظيما من تلحين داود حسنى وزكريا أحمد ولكن هذه

---

(1) وانظر : كمال النجمى : تراث الغناء العربى بين الموصلى وزرياب ... وأم كلثوم وعبد الوهاب ، الهيئة العامة للكتاب ، ط١٩٩٨، ص ٢٢٨

الأدوار العظيمة تتضاءل كثيرا أمام القصائد الكلثومية من شعر شـــوقى بين دينية ووطنية ووجدانية ، وغنت أم كلثـــوم خـــلال ســـتين عامـــا ثلاثمائة أغنية منها ستون قصيدة ، من بينها تسع قصائد لشوقى فقـــط ولكنها كانت أرجح فى الميزان من جميع القصائد التـــى غنيـــت منـــذ نهضة الغناء المصرى فى القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا ، وبـــهذه القصائد بات السنباطى أعظم الملحنين ، ودعمـــت أم كلثـــوم مكانتـــها كأعظم مطربة فى تاريخ الغناء العربى " [1].

وتتواصل شهادات النقاد وتتوالى لتثرى الوجدان بفن الست ، ويعلو فن الغناء الكلثومى شأنه فى ذلك شأن الفكـــر المكتـــوب ، والمنحـــوت والمرسوم والمشاهد ... إنه التوثب للتقدم من غير تواكل دون الانسلاخ عن الجلد ويبقى فنها للرد على أسراب الخفافيش التى تتحين الفرصـــة لنشر الجدب وخرائب القحط هنا وهناك .

(١) وانظر نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٦، ص ٢١٧ .

هبة الله لوادى النيل

يكتب عبد الحميد توفيق زكى عن أم كلثوم [1] ، والكتاب يتناول أكثر من شخصية فنية مصرية ، فيذكر رواد المدرسة الغنائية المصرية التقليدية وهم : الشيخ محمد عبد الرحيم " المسلوب " ، وعبده الحامولى ، وإبراهيم القبانى ، ومحمد عثمان ، والشيخ أبو العلا محمد ، وإبراهيم شفيق ، والشيخ زكريا أحمد ، ومصطفى بك رضا ، وفاطمة إبراهيم البلتاجى " كوكب الشرق أم كلثوم " وفؤاد محفوظ .

ثم يذكر رواد المدرسة الغنائية الحديثة وهم : محمد القصبجى ، ومحمود محمد صبح ، وأحمد صبرى النجريدى ، وعزت الجاهلى ، ومحمد رياض محمد السنباطى (ابن الدقهلية) ، ومدحت إسماعيل عاصم ، وفريد وآمال الأطرش (إسمهان) ، ومحمد فوزى ، وعلى إسماعيل خليل .

ويرى المؤلف أن الست هبة الله لوادى النيل وللعرب أجمعين فى أى مكان هبطوه ، ويؤرخ لميلادها ٣٠ ديسمبر عام ١٨٩٩م ، ويذكر أنها سكنت دارا فى حى عابدين ، إذ كان يتردد على دارها مصطفى بك رضا رئيس نادى الموسيقا الشرقى ، والأستاذ حسن أنور عضو النادى الذى ألف ولحن لمحمد عبد الوهاب أغنية " اللى راح راح يا قلبى " وكذلك طبيب الأسنان صبرى النجريدى ، وأقنعوها بأن تغنى فى فرقة موسيقية تظهر بها على المسرح ، وأن ترتدى الزى الحديث حتى يتواءم ذلك مع

---

(١) عبد الحميد توفيق زكى ، اعلام الموسيقا المصرية عبر ١٥٠سنة

وضعها الجديد بالقاهرة ، واقتنعت أخيرا وأصبحت تغنى علـــى تخـت **محمد العقاد الكبير** ، ومن الطريف أن الجميـــع شـجعوها علــى هــذا التطور، وكان المعارض الوحيد فى تغيير الزى هو الشاعر **أحمد رامى** ، فقد كان يخشى على هذا الصوت البكر الصادح الجميل أن يتأثر بجـــو الطرب . ويقول الشاعر السفير **أحمد عبد المجيد** شاعر الأغانى العظيـم فى كتابه : " **لكل أغنية قصة** " : إذا كان **محمد عبد الوهاب** قد خطا قبـل أم كلثوم على درب الغناء بفترة زمنية قصيرة ، عبر خلالها نهر هـــذا الفن العظيم الجميل ، فقد كانت أم كلثوم على الجسر ، قد لاحت أنوارها التى سبقتها ، وأعلنت عن قدومها كخيوط الفجر عندما تأخذ أضــــواؤه فى الانتشار .

ولم يكن طريق أم كلثوم الطريق المفروش بالورود والزهر بل كانت بدايته على العكس تماما ، لقد كانت تكد وتشقى وهى صبية فى الثامنة من عمرها ، تجوب ريف مصر حينما دعاها الرزق والسعى إليه حتـــى بلغت أقصى ما يطمع فيه فنان .

ويذكر المؤلف أن رحيلها كان فى اليوم الثالث من شـــهر فـبراير عام ١٩٧٥م .

أم كلثوم

و

على بك الجارم

من الشعر الجميل **لعلى بك الجارم** قصيدة بعنوان : " **الحب والحــرب**" غنت الست ثمانية الأبيات الأولى من هذه القصيدة فى أوائل العشـوينات بعد أن قام بتلحينها الفنان الدكتور **أحمد صبرى النجريدى** طبيب الأسـنان الموسيقى الهاوى صاحب اليد الطولى فى تعديل مســـار الغنــاء عنــد كوكب الشرق أم كلثوم ، بل فى طريقة لبسها وتغيير زيها من ارتـــداء البالطو والعقال والكوفية إلى اللبس الأفرنكى الحديث بعـــد وصــول أم كلثوم إلى القاهرة بسنوات قليلة ، وكان يلحن لكثـــير مـــن المطربيـــن والمطربات على النظام التقليدى فى القصائد وغيرها ثم أصبح له اللـون الفريد به فى عالم التلحين وخاصة فى الغنائيات التـــى انتشــرت فـــى منتصف العشرينات لمطربات ذلك العصر **كمنيرة المهدية** ، **وفتحية أحمد**، **وسنية حسانين** ، **وملك** ، **ورجاء عبده** ، **وعبد الغنى السيد** ، وأترابه مـــن المطربين .

تقول قصيدة الجارم :

مـــالى فتنــــت بلحظــــك الفتــــاك

وســــلوت كـــــل مليحــــة إلاك

يســـراك قـــد ملكـــت زمـــام صبـــابتى

ومضلتـــى وهـــداى فـــى يمنـــاك

فـإذا وصلـتِ فكـل شـئ باسـم

وإذا هجـرتِ فكـل شـئ بـاكى

هـذا دمـى فـى وجنتيـكِ عرفتـه

لا تسـتطيع جحـودهَ عينـاك

لـو لم أخـف حـر الهـوى ولهيبـه

لجعلـت بـين جوانحـى مثـواك

إنـى أغـار مـن الكـؤوس فجنـبي

كـأس المدامـة أن تقتـل فـاك

خدعتـك مـا عـذب السـلاف وإنمـا

قـد ذقـت لمـا ذقـت حلـو لمـاك

لـك مـن شـبابك أو دلالـك نشـوة

سـحر الأنـام بفعلـها عطفـاك

والقصيدة طويلة يضمها ديوان على بك الجارم الـذى يقـول عنـه الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم أستاذ الأدب العربى بكلية دار العلـوم بجامعة القاهرة : " إن صفة النظم للكلام عند الجارم بك صفة غريبـة ، والشعر يشخص فى نفسه غناء قبل أى شئ آخر ، تنحدر الأبيات مـن شعور صادق أولا ، وترفدها طاقات هائلة من التمكن يكاد يكون غـير محدود من أسرار اللغة العليا ، على نحو قلما يتاح لغير الجارم بـك " وانظر ديوان على بك الجارم .

الست وشوقى
ونهج البردة

ومما يذكر أن الست غنت من شعر شوقى : (النيل) ، (وولد الهدى) (وبأبى وروحى) من بحر الكامل ، (وإلى عرفات الله) من بحر الطويل ، وغنت : (سلوا قلبى) من الوافر ، كما غنت: (وقى الأرض شر مقاديره) من بحر المتقارب ، وشدت (سلوا كؤوس الطلا) ، (ونهج البردة) من بحر البسيط .

وسنفرغ لدراسة نهج البردة هنا ؛ وذلك لأهمية هذه القصيدة التى تبدأ بقول شوقى :

ريم على القاع بين البان والعلم

أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

والقصيدة معارضة لقصيدة البردة للإمام البوصيرى ، والرئم بالهمزة ويخفف بقلب الهمزة ياء : الظبى الخالص البياض ، والقاع : الأرض السهلة المطمئنة ، والبان : جمع بانة : ضرب من الشجر ، والعلم : الجبل ، والأشهر الحرم : أربعة : ثلاثة متتابعة هى ذو القعدة، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب ، وكانت العرب لا تستحل فيها القتال ، وفى الشطر الثانى من البيت طباق بين قوله أحل وقوله الحرم .

ولا يذهب عن القارئ ما فى البيت من براعة الاستهلال وقد ظهر جمال الطباق لأنه نابع من عرض المتضاد فى نسق مؤتلف يثير الانتباه إلى الفكرة ليشتد رسوخها فى النفس ؛ لأن الأضداد يظهر بعضها بعضا وبذلك تزداد الفكرة وضوحا ، وهذا الطباق من المحسنات البديعية . وقصيدة البردة التى يعارضها شوقى سماها البوصيرى : (الكواكب الدرية فى مدح خير البرية) واشتهرت (بالبردة) ومطلعها :

أمن تذكر جيران بذى سلم

مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

والبوصيرى هو الإمام محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى نسبة إلى صنهاجة وهى بلدة من بلاد البربر فى المغرب العربى ويرجع أصله إلى قبيلة بنى حبنون من قلعة حماد بالمغرب ، وأبوه من قرية بوصير التابعة لمحافظة بنى سويف بصعيد مصر وهو ينسب إليها ولقد ولد ١٢١١م وتوفى بالإسكندرية ١٢٩٩م .

والبردة نظمت لمشاهدة البوصيرى للنبى (ص) فى رؤيا منامية وهو يرتدى بردته الشريفة وكان البوصيرى مريضا بالشلل النصفى فمسح النبى فى الرؤيا على وجه البوصيرى فشفى .

ونرى البوصيرى يفتتح البردة مشببا بحجازية ملكت عليه فؤاده ، والبوصيرى بعد براعة التشبيب يتجه إلى الحديث عن فضائل

النبى (ص) . والمعارضات لبردة البوصيرى قد زادت على مائة وعشرين ونهجت نفس البحر والقافية .

وقد عارض البردة : ابن جابر الأندلسى محمد بن أحمد بعد رحيل البوصيرى بسنتين ، كما عارضها محمود سامى البارودى ، وعائشة الباعونية ، وشاعر مدينة بنى عبيد مصباح النجار ابن محافظة الدقهلية ، والشاعر الأسوانى محمد شاهين ، كما عارضها شوقى إذ يقول بعد مطلع القصيدة :

لما رنا حدثتنى النفس قائلة

يا ويح جنبك بالسهم المصيب رُمى

جحدتها وكتمت السهم فى كبدى

جرح الأحبة عندى غير ذى ألم

يا لائمى فى هواه والهوى قدر

لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم

لقد أنلتك أذنا غير واعية

ورب (منتصت) والقلب فى صمم

يا ناعس الطرف لاذقت الهوى أبدا

أسهرت مضناك فى حفظ الهوى فنم

ومعنى رنا : أدام النظر مع سكون الطرف ، ويا ويح : كلمة تقال لمن وقع فى الشدة والمكروه ، يستنجد له بالرأفة والرحمة مما وقع فيه ، وجحدتها : من الجحود : الإنكار مع العلم ، وشفه الوجد : أهزله

وأنحل جسمه ، وانتصت : سكت سكوت مستمع ، وفى الشطر الثـــانى من البيت طباق بين قوله (**منتصت**) وفى (**صمم**) .

ولقد اضطرت أم كلثوم إلى تغيير هذه الكلمة (**منتصت**) وطلبت مــن أحمد رامى أن يضع لفظا بديلا فوضع كلمة : مستمع ، والمنتصت هــو المستمع .

أما النـــاعس ، فـــهو الوســـنان ، والطـــرف (**بـالفتح**) العيــن ، والمضنى: الذى أثقله المرض ، ومضناك الذى أضنيته ، بما لحقه مــن الوله ، وفى البيت بالشطر الثانى طباق بين قوله : " **أسهرت** " ، وقولـــه " **فنم** " ولنهج البردة شعبية واسعة ، ولقد دفعت أم كلثوم لورثة شــوقى ألف جنيه عن كل قصيدة سجلتها من شعره .

ولقد تخصص السنباطى فى التلحين للست حتى ارتبطـــت ألحانـــه بصوتها ، وانطبع صوتها بألحانه واعتاد الســـنباطى لـــهذا الســـبب أن يطلب الدرجة العليا فى التلحين ، ما دام يلحـــن للدرجـــة العليـــا مــن الأصوات على حد تعبير الدكتورة رتيبة الحفنى .

أما طه حسين فيرى أنها ساهمت فى إثبات جمال اللغة وطواعيـــة موسيقاها .

أقوال وأفعال

تقول **مجلة تايم الامريكية** عن أم كلثـــوم بأنـــها : أســـطورة تكـــبر وتستمر ، لأنها أشهر وأقوى شخصية فنية فى الوطن العربى ، وليست هناك أى علامة على أن كوكب الشرق تتأثر بالزمن لأن العرب يؤمنـــون بأنها تزداد قوة مع الزمن الذى يضيف إلى صوتـــها الصفـــاء ، وفـــى الشرق الأوسط هناك شيئان لا يتغيران ولا ينال منهما الزمن : أم كلثوم والأهرام .

ويقول **عزيز أباظة** عنها :

تشدو فتسكب فى الأرواح صافية
من سلسل من رحيق الخلد مختوم

أما **إبراهيم ناجى** الذى غنت له الأطلال فيقـول : **" أم كلثـوم تملـك جوهرة يسجد لها عرش الدولار المعظم ، ولا تقدر بمال فى خزائـن الأرض "** ، أما الدكتـــور **مصطفـى محمـود** فـــيرى: **" أنـها تفلسـف الحـب وهـى فـى الغناء عنده مثل طه حسين فى الأدب "** .

ويقول عنها الكاتب الصحفى **أحمد رجب** : **" قال محمد عبـد الوهـاب لى مرة أن أم كلثوم تكلثم اللحن فـتزيده جمـالا علـى جمـال ، وتكلثـم تعبـير ابتدعه عبد الوهاب ليعبر به عما يضيفه فن أم كلثوم إلى اللحن وأداء اللحن "**

وعباس محمود العقاد يقول : **" أم كلثوم هـــى المطربـة الموهوبـة التـى أثبتت أن الغناء فن رءوس وقلوب ، وليس فن حناجر وأفواه فحسب "** .

والكاتب الصحفى **مصطفى أمين** يقول عنها : " **أنها كانت أشهر امرأة فى العالم إلا أنها كانت زاهدة فى الشهرة ، وقال عنها أيضا أنها عدة شخصيات فى امرأة واحدة** ".

ويقول عنها الموسيقار **محمد عبد الوهاب** : " **إنها المغنية الوحيدة التى جمعت بين القوة والعاطفة والحساسية فى صوتها ، وإنها الصوت الوحيد الذى تمرد على ذل الميكرفون** " .

ويقول الكاتب الكبير **يوسف السباعى** : " **إنها فنانة الشعب التى أعطت فأجزلت العطاء وقدمت فبذلت بسخاء ، ومن خلال صوتها أذابت روحها ووهبتها لخير وطنها** " .

ويرى رئيس جمهورية تونس السابق **الحبيب بورقيبة** " أن قوة الخاطر وجملة من الخصال جعلت منها سيدة بارزة فى مقدمة سيدات العالم العربى البارزات " .

وهذه الأقوال لم تأت من فراغ ، ويقول **محمد على أحمد** [1] :

" لقد أصبحت أول فنانة تتربع على القمة نصف قرن ، ولقد أجرى استفتاء فى الصحف الفرنسية عام ١٩٧١ وكانت أم كلثوم واحدة من أشهر خمسين امرأة فى العالم ، وغنت لرامى ٣١٢ أغنية ، ولحن لها الشيخ أبو العلا محمد ٣٠ لحنا ، وداود حسنى ٣٠ لحنا والقصبجى لحن لها ٨٠ أغنية ، وزكريا أحمد ١٥٠ أغنية ، ورياض السنباطى ٦٠ أغنية ولحن لها عبد الوهاب عشر أغنيات ، وأول إرسال اذاعى فى مصر بدأ عام ١٩٣٤م ، بدأ بأغانى أم كلثوم " .

---

(١) أنظر : كتاب سيدة الغناء العربى أم كلثوم .

ومن أغانى بليغ حمدى لأم كلثوم : إنا فدائيون ، حب إيه ، أنساك يا سلام ، أنا وانت ظلمنا الحب ، سيرة الحب ، كل ليله وكل يوم ، بعيد عنك ، فات الميعاد ، ألف ليلة وليلة ، الحب كده ، حكم علينا الهوى .

ولحن لها عبد الوهاب : أنت عمرى ، أمل حياتى ، فكرونى ، على باب مصر ، أنت الحب ، هذه ليلتى ، طريق واحد ، ودارت الأيام ، أغدا ألقاك ، ليلة حب .

وغنت للشيخ الراحل الموسيقار سيد مكاوى : " يا مسهرنى " عام ١٩٧٢م ، ومن أشهر ما لحن السنباطى لها : على بلد المحبوب ودينى فى فيلم وداد عام ١٩٣٥ ، والربيع ، وأفرح يا قلبى ، وقضيت حياتى ، والجامعة ، وميلاد الملك ، والنوم يداعب عيون حبيبى ، واذكرينى ، وبغداد ، وفاكر لما كنت جنبى ، ويا ليلة العيد فى فيلم دنانير عام ١٩٣٩م ، ومشهد الفصل الثانى من أوبرا عايدة عام ١٩٤٢م من فيلم عايدة ، وحاقابله بكره ، ظلمونى الناس ، غلبت أصالح ، غنى الربيع ، هلت ليالى القمر ، يا طول عذابى ، ياللى كان يشجيك أنينى ، سهران لوحدى ، يا ظالمنى ، جددت حبك ليه ، صوت الوطن ، صوت السلام ، أروح لمين ؟ ، بطل السلام ، بغداد ، شمس الأصيل ، عودت عينى ، منصورة يا ثورة أحرار ، الجيش ، هجرتك ، يا جمال يا مثال الوطنية ، أقول لك إيه عن الشوق ١٩٦٥م ، لا يا حبيبى ، يا حبنا الكبير ، طوف وشوف ١٩٦٧م ، حبيب الشعب ١٩٦٧م لصالح جودت ، وقوم بإيمان ، عندى خطاب عاجل إليك ، لنزار قبانى وغنتها عقب وفاة الزعيم جمال عبد الناصر ، وأغنية القلب يعشق عام ١٩٧٢ م والقائمة طويلة .

ومن أشهر القصائد التى لحنها رياض السنباطى لصوت الست : عيد الدهر بمناسبة تولى الملك فاروق سلطته الدستورية عام ١٩٣٦م ولحن لها مصر تتحدث عن نفسها كلمات شاعر النيل حافظ إبراهيم ، وعرفت الهوى ، ورابعة العدوية " لطاهر أبى فاشا " ، والفجر الجديد (لمحمد الماحى) وقصة الأمس (لأحمد فتحى) ، وقصة السد

(لعزيز أباظة) ، وثورة الشك ، ومن أجل عينيك (للأمير عبد الله الفيصل) ، وتوبة (لعبد الفتاح مصطفى) ، وأرض الجدود (لأحمد العدوانى) ، يا ربا الفيحاء (لمحمود حسن إسماعيل) وأطلال ناجى ، وحديث الروح (لمحمد إقبال) وأقبل الليل (لرامى) ، والثلاثية المقدسة (لصالح جودت)، ومصر (د. إبراهيم ناجى) وقصائد أمير الشعراء أحمد بك شوقى .

ومن ألحان محمد الموجى أنشودة الجلاء (لأحمد رامى) التى تقول :

يا مصر إن الحق جاء   فاستقبلى فجر الرجاء

واشترك الموجى فى قصة رابعة العدوية عام ١٩٥٥ فلحن أغنية انقروا الدفوف " لطاهر أبى فاشا " :

أوقدوا الشموع   انقروا الدفوف
موكب العروس   فى السما يطوف
والمنى قطوف   انقروا الدفوف

وقصيدة حانة الأقدار لطاهر أبى فاشا :

سألت عن الحب أهل الهوى   سقاة الدموع ندامى الجوى

وفى سبتمبر عام ١٩٥٧ م غنت أم كلثوم " محلاك يا مصرى" لصلاح جاهين ، وفى يوليو ١٩٦٤م غنت للصبر حدود (لعبد الوهاب محمد) ، وفى أول مارس ١٩٦٥م غنت من ألحان الموجى " يا سلام ع الأمة " (لعبد الفتاح مصطفى) وآخر ما غنت البيت للموجى كما تقول د. رتيبة الحفنى : " اسأل روحك "من كلمات عبد الوهاب محمد :

اسأل روحك اسأل قلبك   قبل ما تسأل ايه غيرنى ؟

أنا غيرنى عذابى فى حبك | بعد ما كان أملى مصبرنى
غـــــدرك بيـــــه | أثـــــر فيـــــه

وأول وسام فى حياة الست : قلادة النيل عام ١٩٤٦م ، ووسام أردنى عام ١٩٥٥م ، ووسام الأرز ١٩٥٨م ووسام الاستحقاق من الدرجة الأولى عام ١٩٦٠م ، وقلادة الجمهورية ١٩٦٥م ووسام مغربى ١٩٦٦م ، وجائزة الدولة التقديرية فى الفنون ١٩٦٨م ، ولها جواز سفر دبلوماسى مصرى تم استخراجه عام ١٩٦٨م .

ولها شارع يحمل اسمها فى تونس وآخر فى بيروت ، وحملت عددا من الألقاب فهى :

كوكب الشرق ، زعيمة الغناء العربى ، قمة الغناء ، عملاقة الغناء ، ملكة الغناء ـ سفيرة الغناء العربى ، فنانة الشعب ، ثومة ، صاحبة العصمة ، ست الكل ، الست .

ومن ألحان الشيخ زكريا أحمد لها يا قلبى كان مالك :

يا قلبى كان مالك ومال الغرام | ما كنت عنه فى غنى من زمان

ومن نظم رامى تغنى :

نسيت النوم وأحلامه | نسيت لياليه وأيامه
بعيد عنك حياتى عذاب | ما تبعدنيش بعيد عنك
ماليش غير الدموع أحباب | معاها بعيش بعيد عنك

ومن كلمات بيرم وألحان زكريا أحمد يصل إلينا صوتها الجميل :

آه من لقاك فى أول يوم | ونظرتى لحبك بعنيك
خاصم عيونى ليلتها النوم | وبت أسأل روحى عليك

ويتألق السنباطى فى لحن أكاد أشك فى نفسى للأمير عبد الله الفيصل :

أكاد أشك فى نفسى لأنى   أكاد أشك فيك وأنت منى

ومن كلمات بيرم لحن زكريا أحمد تأتى أغنية : أنا فى انتظارك :-

أنا فى انتظارك خليت   نارى فى ضلوعى وحطيت

إيدى على خدى وعديت   بالثانية غيابك ولا جيت

يا ريتنى عمرى ما حبيت

ومن كلمات عبد الفتاح مصطفى تلحين السنباطى تغنى الست :-

ليلى ونهارى فكرى بيك مشغول   وحياتى لك وحدك ولك علطول

ومن كلمات رامى وألحان رياض السنباطى تغنى الست :

غلبت أصالح فى روحى   عشان ما ترضى عليك

من بعد سهدى ونوحى   ولوعتى بين إيديك

وفى أغنية الغيرة لرامى وألحان السنباطى نذوب جميعا حين تقول :

أغار من نسمة الجنوب   على محياك يا حبيبى

وتغني من شعر رامى وألحان السنباطى قصيدة كيف مرت على هواك القلوب ؟ :

كيف مرت على هواك القلوب ؟   فتحيرت من يكون الحبيب

كلما شاق ناظريك جمال   أوصفا فى سماك روح غريب

ويجتمع رامى مع السنباطى والست فى : أفرح يا قلبى :

افرح يا قلبى لك نصيب — تبلغ مناك ويا الحبيب

افرح يا قلبى

يا فرحة القلب الحزين — لو صادف الخل الأمين

بعد التمنى والحنين — يبلغ مناه ويا الحبيب

افرح يا قلبى

وفى فات الميعاد لمرسى جميل عزيز وبليغ حمدى تقول الست :

فات الميعاد وبقينا بعاد — والنار بقت دخان ورماد

تفيد بإيه يا ندم ؟ — وتعمل ايه يا عتاب ؟

طالت ليالى الألم — واتفرقوا الأحباب

ودموع فى فراق — ودموع فى لقا

تعتب عليه ليه ؟ — أنا بايديه إيه ؟

فات الميعاد

وتغنى لمأمون الشناوى من ألحان بليغ حمدى :

كل ليلة وكل يوم أسهر لبكره — فى انتظارك يا حبيبى

ومن ألحان محمد الموجى وتأليف عبد الوهاب محمد نستمع للست :

ما تصبرنيش بوعود — وكلام معسول وعهود

أنا ياما صبرت زمان — على نار وعذاب وهوان

واهى غلطه ومش حتعود — ولو ان الشوق موجود

وحنينـــى إليـــك موجـــود إنما للصــبر حـدود يـا حبيبـى

وفى " بعيد عنك " لمأمون الشناوى يلحن بليغ حمدى للست :

نســيت النـــوم وأحلامـــه نســيت لياليـــه وأيامـــه

بعيـد عنــك حيــاتى عــذاب متبعدنيـــش بعيـــد عنـــك

وتدخل أم كلثوم إلى مناهج وزارة التربية بالمرحلة الإعداديـــة فـــى مصر كأشهر مغنية عربية على أنها من مواليد (١٩١٠م) وقد أثبتنا مـــن قبل أنها من مواليد ١٨٩٧م أو ١٨٩٩م ، كما تشير كتــب الــوزارة إلـــى اهتمامها باللغة العربية وآدابها وحرصها على تقريبها من الجمـــاهير ، والغناء لأشهر الشعراء المعاصرين وحرصها أيضا على تطوير آدائــها فى إطار أهداف وطنية وقومية وعربية وتمثيلها لعــدة أفــلام منـــها : سلامة وفاطمة ودنانير ولا يغفل منهج وزارة التربية ذكر ثروتها وعيشــتها المتواضعة فقد كانت تجود بسخاء على الفقراء والمساكين ، ويصـــــدر كتاب أعلام الدقهلية وفى القلب منه أم كلثوم وينوه الكتـــاب بأعمالــها ويشير إلى زواجها من الدكتور حسن الحفناوى عـــام ١٩٥٧م ، وصـــدور ميداليات تحمل صورتها فى بعض العواصم العربية ، وإطـــلاق اســـمها على فرقة موسيقية هى فرقة أم كلثوم للموسيقا العربية [١].

وتبقى أغنية ليلة العيد من كلمات رامى وألحان السنباطى وغنـــاء الست مصاحبة لوجدان الشعب المصرى فى ليلة العيد حيـــن تشــدو أم كلثوم :

يــا ليلــة العيـــد آنســـتينا وجـــدت الأمـــل فينـــا

(١) أعلام الدقهلية ، الإدارة العامة للعلاقات العامة بمحافظة الدقهلية ، ص ٣٦ .

يا ليلة العيد

هلالك هل لعنينا	فرحنا له وغنينا
وقلنا السعد ح يجينا	على قدومك ياليلة العيد

كما تبقى الأطلال لإبراهيم ناجى وألحان السنباطى شاهدة على قوة اللحن وبراعة السنباطى وخلود ناجى وخلود وتميز أم كلثوم :

يا فؤادى لاتسل أين الهوى ؟	كان صرحا من خيال فهوى
اسقنى واشرب على أطلاله	وارو عنى طالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبرا	وحديثا من أحاديث الجوى
لست أنساك وقد أغريتنى	بفم عذب المناداة رقيق
ويد تمتد نحوى كيد	من خلال الموج مدت لغريق
وبريق يسبق السارى له	أين فى عينيك ذياك البريق؟

ويقدم ناجى للأطلال بقوله [1] :

" **هذه قصة حب عاثر ، التقيا، وتحابا ثم انتهت القصة ، بأنها صارت أطلال جسد ، وصار هو أطلال روح وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت** " .

ومن جميل الصدف أن الدكتور إبراهيم ناجى صاحب الكلمات والسنباطى صاحب الألحان وأم كلثوم صاحبة الأداء من أبناء محافظة واحدة هى محافظة الدقهلية التى تتفرد بالعباقرة من أبناء مصر .

---

(١) فى ديوان إبراهيم ناجى الصادر عن دار العودة - بيروت ، ط ١٩٨٦م ، ص ١٣٢.

وهناك تغيير وتبديل فى كلمات القصيدة ، ففى الديوان :

يا فؤادى رحم الله الهوى ، والأغنية فيها : يا فؤادى لا تسـل أيـن الهوى ؟

وفى الديوان يقول ناجى :

ومضـى كـل إلى غايتـه   لا تقل (شيئا) (وقل لى) الحظ شاء

أما الأغنية فتقول :

ومضـى كـل إلى غايتـه   لا تقل (شئنا)، (فإن)الحـظ شـاء

وفى الديوان :

أيـها (الشـاعر) تغفـو   تذكـر العـهد وتصحـو

أما كلمات الأغنية فتقول :

أيـها (السـاهر) تغفـو   تذكـر العـهد وتصحـو

وفى الديوان :

وحنينى لك يكـوى " أعظمـى "   والثوانـى جمـرات فـى دمـى

وفى الأغنية :

وحنينى لـك يكـوى " أضلعـى "   والثوانـى جمـرات فـى دمـى

وفى الديوان :

لـك إبطاء " الـدلال " المنعـم   وتجنـى القـادر المحتكـم

وفى الأغنية :

لـك إبطـاء " المـدل " المنعـم   وتجنـى القـادر المحتكـم

وتبقى رباعيات الخيام التى نقلها عن الفارسية أحمد رامى شاهدة على علو مكانة رامى والست ورياض السنباطى :

سمعت صوتا هاتفا فى السحر — نادى من الغيب غفاة البشر

هبوا املأوا كأس المنى قبل أن — تملأ كأس العمر كف القدر

لا تشغل البال بماضى الزمان — ولا بآت العيش قبل الأوان

واغنم من الحاضر لذاته — فليس فى طبع الليالى الأمان

بيرم وقلبه المتحرك

يسجل الفنان **محمود بيرم التونسى** إعجابه بأم كلثوم فقد كان مـــأخوذا فى وقت ما بالنهضة النسائية الوليدة فى مصر وهو يرى أن **قاسم أمين** يدعو إلى تحرير المرأة من الحجاب ، ويرى **هدى شعراوى** تقود نهضـــة نسائية تشترك فى ثورة ١٩١٩م ضد المحتلين ، ويرى منـــيرة ثـــابت تكتب بالفرنسية فى الصحف ، وتصدر بالفرنســـية صحيفتـــها الأمل ، ويرى **أم كلثوم** غريدة يصدح صوتها داعية للفن العربـــى فـــى الشـــرق والغرب ، ويرى الآنسة **مارى الياس زخور زيادة** وشهرتها (مى) كاتبة أديبـــة تفتح صالونها لأدباء وكتاب عصرهـــا ، ويـــرى روزاليوســـف ممثلـــة عظيمة تبرز فى دور **غادة الكاميليا** [1] وتنافس بـــه ممثـــلات الغـــرب ، وهكذا فلا يملك إلا أن يقول مظاهرا هذه المظاهر التقدمية فى مجتمـــع بلاده :

---

(١) غادة الكاميليا رواية كتبها الروائى والكاتب المسرحى الفرنسى الكسندر دوما الابن (١٨٢٤م-١٨٩٥م) عام ١٨٥٢م ونالت شهرة عالمية وقدمت مئات المرات على الشاشات الفضية ، وبنى عليـــها الموســـيقار فـــيردى أوبـــرا " لا ترافياتا " ، والقصة عن غانية تحب " زهور الكاميليا " ومن هنـــا كـــان الاسم ، يحبها شاب وتهجره كطلب أبيه وتصاب بالسل وتخـــبره بالحقيقـــة وهى على فراش الموت ، والغادة من الفتيـــات : الناعمـــة اللينـــة ، ومـــن الأشجار الغضة الريّا .

و (روزا) تمثيلــها الفنـــى	يمـــلا عينـــى ضـــى
وعضمـــى يتفـــك منـــى	لمـــا تكتـــب (مـــى)
يـــا مصـــر دومـــى واتـــهنى	بـــالحريم الحـــى
منـــيره كاتبـــه فرنســـاوى	واقـــرا الجرنـــال
أمـــا زجـــل (إحســـان) كـــاوى	فـــى الصنعـــه رجـــال
والكلمه مـن (هـدى شـعراوى)	تضـــرب أمثـــال
وشـوف (سـعاد الخلفـــاوى)	شـــافت أهـــوال

ويضيف عبد الله أحمد عبد الله (ميكى ماوس) [1]: إن بيرم أدرك مـــن جيل الأساتذة بالنسبة إليه - من الناحية الزمنيـــة - إمام العبـد ، وخليـل نظير ، حفنى ناصف وزملاء عصرهم لكنه شخصيا كتب إلى جوار زمـلاء جيله هو : بديع خيرى ، ومحمود رمزى نظيم ، ومحمـد غـالب المهندس ، ويونـس القاضى ، وكل منهم زجال لا شك فى قدرته وعلمه بفنـــه ، لكـن بـيرم انفرد عنهم جميعا بالصيت الأبعد ، لم يشاركه بعض الشئ فـــى جاهـــه الفنى العريض إلا بديع خيرى لكن بيرم مع ذلك سبق إلى الخلود .

---

(١) بيرم ثائرا ساخرا ، الصادر عن مؤسسة دار الشعب للصحافـــة والطباعـــة والنشر عام ١٩٧٥م

والشاعر العراقى الكبير بدر شاكر السياب (١٩٢٦م-١٩٦٤م) وهو رائد من رواد الشعر الحديث يترنم فى موطنه بالعراق بأم كلثوم يقول تحت عنوان أم كلثوم والذكرى :

(وأشرب صوتها فيغوص من روحى إلى القاع ، ويشعل بين أضلاعى غناء من لسان النار ، يهتف " سوف أنساها وأنسى نكبتى بجفائها وتذوب أوجاعى ، وأشرب صوتها ... وكأن ماء بويب يسقينى ، وأسمع من وراء كرومه ورباه " ها ... ها ... ها ... " ترددها الصبايا السمر من حين إلى حين) .

إنها تضئ فيه جوانب الحياة والفن ، ويمضى الفنان الرهيف والمفكر الثاقب ليشرب من نبع صوت الست يقول :

(وأشرب صوتها فكأن زورق زفة وأنين مزمار تجاوبه الدرابك ، يعبران الروح فى شفق من النار ، يلوح عليه ظل وفيقة الفرعاء أسود يزفر الآها سحائب من عطور ، من لحون دون أوتار .)

وهو لا يملك دفاعا فى مواجهة سحر صوتها ، فهو واحد من حراس القيم الرفيعة يقول :

(وأشرب من صوتها فيظل يرسم فى خيالى صف أشجار ، أغازل تحتها عذراء ، أواها ، على أيامى الخضراء بعثرها ووراها ، زواج . ليت لحن العرس كان غناء حفار ، وقرعا للمعاول وهى تحفر قبرى المركوم منه القاع بالطين ، وأذكرها ، وكيف ؟ ... وجسمها أبقى على جسمى عبيرا منه ، دفنا غلف الأضلاع ... أنساها ، أأنساها ؟ أأنسى ضحكة رعشت على لحمى وأعصابى ، وكفا مسحت وجهى برياها ؟)

وتمضى صورة الشعرية فى غاية من البراعة والروعة ، وقد شـفه الوجد وقلاه طول الصد والبعد ، يمزق صدره الأسـى ، فيـهتف وقـد فرقت اللوعة قلبه :

(قساة كل من لاقيت ، لا زوج ولد ، ولا خل ، ولا أب أو أخ فيزيل من همى ، ولكن . ما تبقى بعد من عمرى ؟ ... وما الأبد ... بعمـرى ، أشهر ويريحنـى موت فأنساها) .

وصدقت نبوءة الشاعر فالقصيدة بتاريخ ٩/٣/١٩٦٣م (بلنـدن) ، والرحيل لشاعرنا فى ٢٤/١٢/١٩٦٤ م ، وكانت وفاته فى المستشـفى الأميرى بالكويت ، وديوانه الأول : **أزهار ذابلة** ١٩٤٧م ، ومجموعتـه الثانيـة **أساطير** ١٩٥٠م ، و**حفار القبور** ١٩٥٢م ، و**المومس العمياء** ، و**الأسلحة والأطفال** ١٩٥٤م ، و**أنشودة المطر** ١٩٦٠م ، و**المعبد الغريق** ١٩٦٢، و**منزل الأقنان** ١٩٦٣م ، و**شناشيل ابنة الجلبى** ١٩٦٤م [1] .

---

(١)وانظر : المختار من شعر بدر شاكر السياب ، إعداد وتقديم سعدى يوسف مكتبة الأسرة ، ١٩٩٨م .

الرحيل
(١٩٧٥/٢/٣م)

الفنان ينسى أنه فى اللحظة التى يصنع فيها مجده ، يصنع فيها أيضا سجنه ، إن الفنان الذى يجعله جمهوره نجما لامعا يصبح فى نهاية المطاف وحيدا ، وحزينا ، وحيدا مع شهرته الواسعة ، وحزينا مع إنسانيته المتراجعة ، إنه إذا كان رجلا فربما تجعله النقود أكثر رخاء ، وإذا كانت امرأة ، فإن الوحدة فى حياتها تصبح أكبر من أى شئ آخر ، إنها حتما تأتى أسرع ، إن الزمن هو دائما عدو المرأة ، حتى بالنسبة لأسطورة كأم كلثوم ، إن معظم النجوم غيرها يقضون السنوات العشر الأخيرة من حياتهم فى صحبة الأقراص المنومة ، أو الخمر ، أو أى شئ آخر يساعدهم على التخلص من ليل طويل موحش ، وحزين ، ليل من الوحدة ، والانتظار ، والأمل فى صباح مزدحم .

إن الزحام يتراجع دائما مع الظلام ، الآن ينتهى الفنان ، ويبدأ الإنسان . هنا يبدأ الليل ، وفى ظلام الليل تأتى الوحدة القاتلة ، الوحدة مع ألبوم صور قديمة ، أو خطابات أيام مضت ، أو تسجيلات يوم بعيد ، أو حتى مجرد الوحدة مع إعلانات التليفزيون ، ولكن أم كلثوم بدت دائما من غير زمن ، بغير عصر ـ إنها عاشت دائما فى القمة ، وعندما انتهى الغناء راحت القمة ، وراحت معها علامات الحياة ذاتها . وفى حياتها كانت الصفة المدهشة فى أم كلثوم هى أنها تجعلك تشعر

فورا بأنك فى بيتك وبين أسرتك ، إنها تعطيك دائما انطباعا بأنك أهـــم إنسان فى حياتها ، لقد قابلت فى حياتى ثلاث شخصيات فقط لديهم هـذه القدرة ، كانت أم كلثوم على رأسهم[1] ربما كان هذا هو الذى يجعلـــها ترقد الآن على سرير الإنعاش وسط بحر من الوجوه الصديقـــة التـــى ظهرت فجأة ، إنها الآن تغنى أصعب ألحانها ، تغنى أغنيتها الشـــخصية ، إن لدى رغبة جارفة فى أن أراها من زجاج الغرفة ، ولكن فى داخلى أيضا خوف مطلق من أننى لن أستطيع ... لا يمكن ، هـــذه ليســت أم كلثوم ، هذا مجرد كاريكاتير ، إنه كاريكـــاتير أم كلثـــوم ، إن حجـــرة الإنعاش هذه هى آخر حصن تحتمى به ، وآخر احتياطى تنفق منـــه ، وآخر سور تتراجع إليه ، وآخر نقطة تنكمش فيها ، إن الحياة هنـــا تمضغها ، والمرض يمضغها ، والصراع مع المرض يمضغـــها ، لقـــد أصبحت الآن أنموذجا لضعف الإنسان قبل أن تكون دليلا على عظمته ، إننى لا أصدق ، لماذا أصبح قلبها بهذا الصمت وشفتاها بهذا السكون ، ونومها بهذا الطول ؟ لماذا تبدو الغرفة باردة هكذا ؟ ... لقد قررنـــا ألا نتكلم فى صحة أم كلثوم ... ماتت أم كلثوم ، "**وخلق الإنسان ضعيفا** " [2].

---

(١)محمود عوض : شخصيات

(٢) سورة النساء الآية : ٢٨ .

زكريا الحجاوى
(١٩١٤م-١٩٧٥م)

- زكريا الحجاوى وإبداعه الهادر فى الفنون .
- السادات صادقه قبل الثورة وكرمه بعد الرحيل .
- كيف استنفر فينا الطهارة ، وجسّد الحلم ؟

مفتتح

تشهد الساحة الثقافية فى الدقهلية زخما إبداعيا فى شتى المجـالات الفكرية مما يضاعف من قدرتها على الحركة والتقـدم لاقتحـام دروب الخطاب على مساحة واسعة تشمل الوطن كله دون أن تتوقف عند بقعة بجغرافية محددة ينتسب إليها المبدعـون ، إذ ينتمـى إلـى الدقهليـة عظماء ، وفحول بالميلاد ، والمربى ـ أو بـالتعليم فـى مؤسسـاتها وصروحها العلمية ، وقد ترك لنا هؤلاء النبلاء آثارا تدل علـى سـمو وعلو كعبهم فى الفكر والفن لأنهم حملوا خلال رحلة حياتـهم مشـاعل النور والحضارة ، وحطموا أسوار العزلة التـى تفصـل بيـن الـروح والعالم ، وبين الحضور والغياب للمثول الدائـم فـى ضمـير الأمـة ، والحضور المستمر فى الذاكرة العربية .

وكانت جهودهم المضنية وسـيلة ومنفـذا للتعبـير عـن النفـس الإنسانية ، ومن ثمرة جهدهم أسفر الفجر فانتشت الحياة ، ولو رحنـا نستقصى أسماء هؤلاء الأعلام لجئناكم بسفر ضخـم غنـى بالرجـال والنساء .

ويكفينا فى هذه الإطلالة الوقوف أمام محراب الفن الـذى شـيده الفنان المبدع الراحل **زكريا عبد الرحمن الحجاوى** (١٩١٤م-١٩٧٥م) ابن المطرية دقهلية ، الفنان المبدع الذى جدد شـباب مصـر بجـرأة واقتدار ، لأنه آمن إيمانا قويا بتأثير الفن فى حياة الشـعوب ، فحمـل رسالته الكبرى ليثير فى الناس القوة الروحية الكامنة فيـهم بإبداعـه

الهادر برغم المناخ الشاحب الكاذب الذى أسهمت فى تكريسه عناصر ظلامية عديدة كانت تطمع فى مساواة الواعد بالناضج والمبدع بالمقلد ، لكن النار المشتعلة فى قلب عمنا **الحجاوى** ، أذابت الصقيع ، وأشعلت الإبداع بشرارة الصدق الكامن فى نفسه ، وراح يرصد عناصرنا التراثية ليخلدها ويعمل على تحسين صورتها ، ويكشف لنا فضلها وفضائل أهلها ، وغاص فى تربة الواقع التى تحمل رائحة الحلم وبكارة الرؤى ، وتجليات الحق ، ومن هنا كانت لنا هذه الرحلة معه ، فهو رمز من رموز مصر ، أسهم بشكل فعال فى صنع مجدها الثقافى خلال القرن العشرين دون طنين إعلامى .

فحملت أعماله الفكرية العديد من المعطيات الذهنية فى لغة ثرية مثقلة بالدلالات المستنفرة للدهشة والغرابة ، فحق لنا أن نعيش معه هذه اللحظات حتى نبدد حالة الاغتراب التى تحاصرنا فننهل من نبع عميق للبراءة والصدق يمثله عمنا **الحجاوى** الذى شهد له بالبراعة (شكرى القاضى) إذ جعل القارئ فى بداية الخمسينات يتعود على الرؤية الواقعية فى الفن [1] .

(١) خمسون شخصية مصرية ، وشخصية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٩م .

البداية

البداية ... قلب يتسع للدهشة ، يضع الملح فوق الجـــراح ، يحـــرك الراكد ، ويهرب فى المستقبل وإليه أمـــلا فـــى اقتحامـــه ... والبدايـــة محاولة للمرور مرور الكرام على أوراق الحجاوى ، وأنشطته الأدبيـــة والثقافية ...

ونحن ههنا لا نسجل فصولا من تاريخه ، أو نروى كـــامل ســـيرته الذاتية ، ولكننا نستعيد بعض الصور التى وجدناهـــا موســـومة بدقـــة وعناية على صفحات عمره .

وذكريات حياته التى سجلها أصدقاء عمره ، فإن رأى القارئ النابه فى هذه الإطلالة ما يرضيه ، ويروى ظمأه ، ويذهب غلتـــه ، ويشـــبع رغبته فى المعرفة ، فسوف أغتبط وأكون حفيا سعيدا بذلـــك ، لأننـــى قدمت عملا يبعث على الرضا ، ويحوز القبول ، وإن رأى المطالع غـــير ذلك .

فعذرى أنى ما أردت إلا الخير الذى يثير فى النفس معانى العـــزة ، ويستنفر الطهارة ؛ لتكون النفس الإنسانية فى مكان الصدارة ؛ ولأنـــه كما يقول صاحب دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجانى – لابد لكل كـــلام تستحسنه ... من أن يكون لاستحسانك ذلك جهـــة معلومـــة ، وعلـــة معقولة ، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل ، وعلى صحـــة مـــا ادعيناه من ذلك دليل ، لهذا يمكننا القول بأن الحجاوى فنان التزم فـــى حياته بقضايا وطنه ، وغاص فى بحار نصوصه وطقوســـه المســـكونة

بالخلايا الحية ، وبحث عند الدر فى قلب المحار ، وعبر عن العاطفة الجياشة بالحقيقة ، والعطاء الوافر ، فأثبت براعة نادرة وعبر عن فرحة غامرة ، وعذوبة آسرة ، خلقت فى النهاية إيقاعه الخاص ، ولونه المميز ، ومما ساعده على ذلك توقد ذهنه ، والدفء الذى يحيط بقلبه ، مع سعة أفقه ، ونفوره من التعقيد ، وانطلاقه من أرض خصبة ، وسجية نورانية مجنحة ، تفيض بحس مرهف ، وذوق سليم صحيح ، وروح شفيفة ، شريفة ، عفيفة ، وطيبة فى سريرة راضية ، وروح عامرة وهبها لمصر وراح يترنم باسمها ، ويهتف بحبها ، ويرطب لسانه بذكرها ، فأعطته مصر وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى بداية الثمانينات ، بعد أن انتقل إلى جوار ربه بأكثر من خمس سنوات ، فكان بحق تلك الشمعة التى احترقت من طرفيها لتمنحنا الضوء ، وتتفاوت الأمم بقدر حظها من هذه الأضواء .

الرحلة فى البداية تنطلق من المطرية دقهلية ، حيث كـــان الميـــلاد الذى رأى فيه **الحجاوى** بصيص النور فى المنزل الكبير لوالده العاشـــق لألحان الشيخ سيد درويش ، حيث تنبعث هـذه الألحـــان فـــى المـــنزل من أسطوانات كان والده حريصا على الاستماع إليها وقد تحلـــق أهـــل البلدة مع الصيادين من حوله يستمعون بشغف إلى اللحن ، والصـوت ، والنغم ، فقد نفثت بحيرة المنزلة بسحرها فـــى روح **زكريـا الحجـاوى** ، فانطلق يغرد فى الأيك بعد أن وجد نفسه وجها لوجه مع الموج الصادر عن مياه البحيرة بخريره ، واللحن القادم من ألحان الشيخ سيد درويش فى منزل أبيه ... ومن هذين المصدرين استعار الحجاوى فنـــه فنـــاول الزهر مهجته ، وانبرى يلثم الوطن ، وحين يغيبه الوجد يزوج البحـيرة نفسه ، ويدعو الألحان لتشهد عرسه ، فبحيرة المنزلة من أكبر وأهـــم بحيرات مصر الداخلية بل والعالم على الإطـــلاق ، تتوفـر فيـــها أهـــم مقومات المربى السمكى الطبيعى ، مع توفر المواد الغذائية والطبيعية ، إضافة إلى إعتدال المناخ بها طول العام ، وفى هذا الجو الخلاب عـــاش الحجاوى بين أنواع الأسماك المتعددة التى يتم صيدهـــا مـــن البحـــيرة بالشباك ، والبراميل ، والأعشاب ، والفلايك ، والغطـــس ، والشـــص ، والجوبية ، والقبض بالأيدى ... والقائمة طويلة ...

لقد شاهد الحجاوى خيرات البحيرة بما فيها من الجبس البحــــرى ، والبوص ، والمراعى الطبيعية التى تغطى مساحات كبيرة من البحـيرة ،

كما شاهد السمار ، والبردى ينبتان معا فـــى تربـــة واحـــدة ، وتـــأمل الحجاوى الطيور المهاجرة التى لايقل عددها عن (٣٠٠ألـــف طـــائر) وعاش موسم هجرة الطيور المائية للبحيرة ، وهو عيد سنوى ينتظـــره الأهالى بشوق غامر ، وفرح آسر ، واخـــتزن فـــى ذاكرتـــه المنـــاطق الأثرية بالبحيرة حيث تضم أربعين منطقة أثرية تنتمـــى إلـــى مختلـــف الحقب التاريخية ، وكل هذه العوامـــل تركـــت بصماتـــها فـــى نفـــس الحجاوى ، ومن موج البحيرة إلى موج بورسعيد كانت رحلة الدراســـة موفقة ، ولم يمنعه هدير الموج المتكسر على الشاطئ من التوقـــف إلا للتأمل ، وفى بورسعيد يتشكل الحجاوى ويتخرج فى إحـــدى المـــدارس الإبتدائية ، وقد كات ترتيبه الأول على طلاب المرحلة بمديرية القنـــال ، ومن هذا الموقف الإيجابى تمدد الحجاوى فى الحياة ، بالجد والمثابرة ، لا بالتسويف والتأجيل ، وراح يحملق فى الأنداء من حوله فـــى قـــوة روحية مشتعلة ، ومشاعر صادقة متدفقة تطوف به عالم مـــن نـــور ، ويحصل على جائزة الفائقين التى خصصها آنذاك الملك فؤاد ملك مصـــر ورصدها للنابهين من أبنائها وهى عبارة عن أربعين جنيه من الذهـــب مع ساعة حائط ثمينة ، ومن هنا كان توفيق البدايات مشـــجعا مقنعـــا رائعا للطالب الصغير حتى يستكمل مسيرته ، ويسجل ســـيرته ، فبـــدأ يخطو فى تؤدة ورفق ليلامس أغشية القلوب .

تواصل

انتقل زكريا الحجاوى من بورسعيد إلـــى الســـويس حيـــث التحـــق بمدرسة الصنايع البحرية بها ، ثم غادر إلى القاهرة التى أذابـــت الفـــن فى شرايينه .

وكان المناخ ملبدا بالغيوم والهموم ، فالاستعمار البريطـــانى جـــاثم على صدر الوطن آنذاك ، ينهش مصر بأنيابه ، ويمزقـــها بمخالبـــه ، ويفرض عليها البطش والطيش ، ويسخرها بطغيانه وهذيانه .

وكان التحرر من الاستعمار هدفا نبيلا يسعى إليه الجميع ، وكـــان الحلم القومى فى التحرر أملا عزيزا لدى المصريين والحجاوى معـــهم يمخر بحر الوطنية ويطير بآفاق بلاده ليحيط بعمق جروحها ويحتـــوى وجودها ومداراتها أملا فى إشراق صبح جديد تســـتأنف الحريـــة فيـــه دورتها كل يوم ، تعانق شعبا وتبنى هوية .

وفى صخب الحياة انخرط الحجاوى ، والتحـــق بمدرســـة الفنـــون والصناعات الثانوية الملكية التى تحولت فيما بعد إلى كلية هندسة عيـــن شمس ، ومن حرم مدرسته شارك رفاقه الأحرار فى المظاهرات التـــى تهتف بسقوط الملكية والمستعمر ، وتطالب بالجلاء عن الديار ، وتنـــدد بالمحتل الغاشم .

وبذلك استطاع زكريا الحجاوى أن يقود حربا شعواء ضد المحتـــل ، كما قاتله فى معارك عديدة ، مما دفع المحتل إلى حرمانه مـــن دخـــول امتحان السنة النهائية ، واعتقله النحاس باشا ، وحدد إقامته فى قريته ،

لا يبرحها ، وبذلك لم يحصل على شـــهادة هــذه المرحلـــة ، فـــالتحق بوظيفة متواضعة ، وتابع هجومه على الظلم والظلام ، وحـــول اتجـــاه الريح لتعصف بالطغاة واللصوص ، ووقف على أرض ثابتة ، تربتـــها خصبة تنبت الزهور ، وراح يبشر بمستقبل أكثر اتساقا مـــن حـــاضره المعاش .

وكان على موعده مع الوطـــن ، فنـــاداه ترابـــه بصـــوت الحيـــاة ونبضها ، وهب الحجاوى واقفا ، يحاور الفن الصادق فى أول أوبريـــت له بعنوان : (**ياليل يا عين**) وفيه البطولة المطلقة للفنـــان **محمود رضا**، والفنانة **نعيمة عاكف** ، وبذلك وضع **الحجاوى** نقطة البداية المضيئة التـــى توقظ المشاعر النبيلة فى النفوس ،و تقف حائلا بيـــن النفـــس وبيـــن تيارات البرود والجمود ، والسكون والعدم ، ومن هنا تولدت حالة مـــن النشوة الفنية لدى الحجاوى دون أن يدور حول ذاته أو يصرف جـــهده لينصرف إلى الإعجاب بها – أى الإعجاب بتلك الذات – ولذلك كـــان تواصله معنا مستمرا .

كان الكاتب الراحل نعمان عاشور - ابـــن الدقهليـــة - يشـــبه **زكريـا الحجاوى** بميدان الجيزة فى مصر حيث يقول : (ربما لأننى تعرفت عليه لأول مرة فى هذا المكان " الجيزة " ، وربما أيضا لأننا كنا معا نســـكن فى أغوار الجيزة .

والطريق إلى بيته داخل " **حارة رابعة** " يبدأ بالشارع المنحنى الـــذى كان يقع فى نهايته بيتنا ، ومع ذلك تســـتأثر بخيـــالى صـــورة زكريـــا بجسمه الضخم المستدير وكأنه الصورة المصغرة المتحركـــة لميـــدان الجيزة ، والسبب فى أن زكريا كميدان الجـــيزة تمامـــا لأنـــه ممتلـــئ بالتجاعيد والنتوءات والتضاريس الجسمية أيضا حيث كانت تنصب فيـــه ، وفى شخصيته التيارات الفكرية العديدة التى عشناها وعاصرناها فـــى فترة الحرب العالمية الثانية وما تلاها ...) .

ثم يمضى نعمان عاشور فى وصفه **لزكريا الحجاوى** إلى أن يقـــول : " واغفروا لى مثل هذا التشبيه " [(١)] .

أما الكاتب الكبير **خيرى شلبى** فيصف الحجاوى على طريقته بأســـلوب آخر ، وذلك فى كتابه " **صحبة العشاق رواد الكلمة والنغم** " [(٢)] .

يقول :(يتكور الوجه ... يأخذ شكل خريطة الدلتا ... ملامح بـــارزة ، وأخرى مضغمة ، ومضمرة ، النقطة الباهتة الحجم من بعيد ربما كـــانت

---

(١) أنظر كتابه مع الرواد .

(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٦م ، ص ١٤٤ .

بلدا ، والخط ربما كان طريقا ، أو جسر سكة حديد ، وكل أذن من الأذنين تشبه بحيرة المنزلة ، أما الجبهة فصخرة عالية تلطمها أمواج البحر المتوسط منذ عشرات القرون حتى بنت فوقها العشب ، واخضر سطحها ... صدغان مدوران بيضاويان ... الخدان كرسيان تتربع فوقهما عينان حانيتان منضبطتان على ورع وتقوى ، صرتان من الحنين الدائم للارتحال بين ربوع البلاد ، وفى أعطاف العباد ، أنف كفيونكة الشعر ، برزت مقدمته ، وضاعت بقيته فى رحابة الملامح المتضخمة المكتنزة بالعواطف الإنسانية الجياشة ، حنك كبير واسع ، عريض الشفتين ، تفوح منه رائحة شبع هو أقرب إلى القناعة ولو أكل طبق الفول المدمس والرغيفين ، وفحل البصل ، والباذنجانة المحدقة ؛ لبدا كأنه أكل لتوه خروفا مشوياً ...) .

ويمضى كاتبنا النبيل فى وصف زكريا الحجاوى إلى أن يقول فيه : (سخى كالماء ، مبذول كالهواء ، غامر كالضياء ، على وجهه قنديل من البهاء ، ولو كنت من أبناء جيلنا لأسعدك الحظ برؤيته ، والتعامل معه ، والإفادة من علمه الغزير ، وقلبه الكبير ، وحنانه الوفير ، وعلاقاته الواسعة ، بمجرد وقوع بصرك عليه تدرك فى الحال أنه مصرى ، ربعة ... لا بالطويل ، ولا بالقصير ، ممتلئ الجسد ، ذو كرش صغير بارز فوق حزام السروال الواسع المتهدل ، ويمنع تزرير السترة المنهدلة ..) .

ويمضى بنا وصف الكاتب الكبير خيرى شلبى حتى يؤذن ديك الفجر فتتجدد المشاعر ، تنتبه الأحاسيس ، ترطب الوقت ، كما ترطب جفاف الروح التى هدهدها التفتت والتشتت ، نبتلع قهرنا ، وغيظنا ، وصمتنا

الموجع ، كما نبتلع اللحظات السقيمة ، ندلف إلى رحـــاب الحجـــاوى ، نقف داخل صومعته المسكونة بالمشاعر الحميمة ، والمفعمة بـــالعمق والصدق ، والحياة ، نسبح فى مياه جديدة لم نألفها من قبـــل ، فـــهى مشحونة بالعواطف ، مسكونة بالعواصف والإيحاءات ، والتـــأويلات ، والدلالات ، ونذكر من أعماله الخالدة :

مسرحية بجماليون (١٩٤٠م) وكتابه : "**ملك ضد الشعب**" (١٩٥٢م) ضد الملك فاروق ، قبل قيام الثورة ، ومجموعة قصصيـــة بعنـــوان : "**نهر البنفسج**" ، وكتابه : "**حكاية اليهود**" (١٩٦٨م) .

وله فيلمان سينمائيان هما : **أدهم الشرقاوى ، سيد درويش** ، كما جمـــع (**٧٢ ملحمة شعبية مصرية**) منها : **ملاعيب شيحة ، وكيد النسا ، وابـــن عـــروس ، وأيوب المصرى ، وعزيزة الفرشوطية ، وسعد اليتيم ، وأنس الوجود** .

وقد أهتم بالتراث الشعبى ، وكانت لـــه أحـــاديث ثقافيـــة إذاعيـــة أسبوعية وله العديد من السهرات الإذاعية منها ســـهرة دراميـــة عـــن (**ملك فرعونى ظالم**) من إخراج الفنان الراحل سيد بدير كـــادت تنـــهى مستقبله زمن الملكية فى مصر .

عاشق المداحين

لقد برع الحجاوى فى المسلسلات الإذاعية بحلقاتها اليوميـــة التـــى تسلط الأضواء الساطعة على تفاصيل الحياة الجزئية فتكتســـى بخيـــال المستمعين للتحليق فى آفاق تقصر عن بلوغها المـــدارك والأذهـــان ، فكان أول مسلسل بخريطة الإذاعة المصريـــة مـــن تـــأليف الحجـــاوى بعنوان : (العقد اللولى) ، وله:(الأرملة العذراء)، و(الحب الأسير) .

والحجاوى أول من ابتكر المقدمة والنهايـــة بالغنـــاء للمسلســـلات الإذاعية ، ومسلسل (اتفرج يا سلام) و (وراء الأسوار) من الأشكال الفنية الراقية فى الدراما الإذاعية ، وقد أخرج يوسف الحطـــاب أنجـــح برامج الحجاوى الإذاعية وعطر بعبيره الفواح المجالس والدروب .

وكان الحجاوى مسئولا ومشرفا على فرق الرقص والغناء الشـــعبى بعد قيام ثورة يوليو ســـنة ١٩٥٢م ، وهـــو الرســـام ، الموســـيقار ، الراوى ، الممثل ، الشاعر ، القاص ، البـــاحث ، المغنـــى ، الملقـــن ، المعلم ، الصحفى النابه صاحب المآثر الغـــراء علـــى الأدب ، وأياديـــه بيضاء على الفكر والصحافة ، فهو من مؤسسى جريدة الجمهورية عام ١٩٥٣م ، وهو الذى أعطى صاحبة الجلالة أشهى أيام عمره ، إذ عمـــل صحفيا قبل ذلك فى الثلاثينات ، تشهد له بذلك أعماله المنشـــورة فـــى صحف ، ومجلات منها : روزاليوسف ، والرسالة ، كمـــا عمـــل فـــى : الوادى ، والأديب ، وكان الحجاوى يعمل كسكرتير للتحرير فى جريـــدة المصرى ، وفى الخمسينات عمل بصحيفة القاهرة ، أما أبحاثه الخاصـــة

بالأدب الشعبى فإن الحيز الضيق المحكومة به هذه القراءة ، لا يحتمل تقصيها ، ويمكن أن نجد فى هذه الأبحاث خلة روحه التى تستعيد عشقها ؛ فتمنحه لربوع الوطن بعيدا عن ضوضاء المطاردة ، فوطن الحجاوى هو عشقه الدائم الخضرة ، وقبلته التى لا تتغير ، وحياته التى لا تنتهى ، ولقد كانت مسرحيات الحجاوى الغنائية تقدم بفرقة أوبرا ملك ، وفرقة أحمد المسيرى وكانت كلها ناجحة على المسرح ، كما كان الحجاوى ، صاحب فكرة الثقافة الجماهيرية ، والسامر ، وهو صاحب السرادق الرمضانى الشهير بحى الحسين وهو الذى يشهد له بطول الباع فى الفن الشعبى .

والحجاوى هو الذى قدم الموهوبين فى الفنون الشعبية إلى دائرة الضوء ، فظهر الفنان الشعبى الراحل (محمد طه) الذى برع فى الغناء الشعبى ، وكان عصره الذهبى إبان الفترة الناصرية ، كما ظهر (أبو دراع) منشد السير الشعبية الذائع الصيت ، وارتبط الحجاوى بالفن الشعبى والفنانة الشعبية (خضرة محمد خضر) وكلف بها ، وانصرف إليها ، وهام بفنها ، وأطلق اسمها على فرقته ، واقتنع الحجاوى بمواهب الفنان الراحل صلاح جاهين ، وآمن بنبوغه فى فن الكاريكاتير ؛ فقدمه إلى رئيس تحرير جريدة القاهرة الذى أفسح له المجال لاظهار فنه ، وتمضى بنا الرحلة مع " عاشق المداحين " الذى جعل الأحلام تتمايل بين العيون لنغمض عليها الجفون .

الحجاوى كاتب إنسانى ، وثائر مصـــرى ، ينبغـــى تنـــاول أعمالـــه بجوانبها الإبداعية بالدرس والتحليل حتى يمكن لنا القيام بإحياء أعماله من خلال محاولة جادة لإعادة إنتاجها فى وعى الأجيال الجديدة بحيـــث نقترب من الحقائق دون أن نحرم الفـــن مـــن كثافتـــه ، أو اســـتهدافه للمعانى النبيلة الـجميلة ، وفى ضوء هذه الدراسات يمكن لفن الحجـــاوى أن يسكب البريق فى العيون ، ويطل علينا من جديد فنحن فـــى شـــوق وتوق لهذا الفن الصادق الذى يفتح الشرفات على حب مصـــر ليســـافر الإنتماء فى الدماء ، ويهب الحروف من جديد نبض الشموخ الجليـــل ، حتى لا نضيق القلوب بنبضها ، وتختفى نـــبرة التـــبرم مـــن حياتنـــا ، وتذوب المرارة التى تزاحم الحياة ، ورحم الله أبا العلاء المعرى القـــائل فى لزوم ما لا يلزم :

وكيف أقضى ساعة بمسرة
وأعلم أن الموت من غرمائى

لقد رحل الحجاوى بعد أن سقانا الحلم ، ونفض عنا غبار الصمـــت ، ومن القصور والعيب أن تغيب الكثير من حقائقه ، فهو نبت ســـامق ، أزهر فينا ، وأينع ، وهو الكاتب العظيم الذى استطاع خـــلال ســـنوات عمره القليلة أن يقدم إبداعا رفيعا ، حرص من خلاله علـــى الاهتمـــام بالكيف ، أكثر من الكم ، وراهن على نفسه ، وعلى ما يمكن أن يقدمـــه لوطنه ، وترك نفسه فى اللهيب ، فانصهر ، وتحول إل نهر من الإبـــداع

ينطلق فى ربوع مصر ، يشده الشوق ، ويدفعه الحنين لعناق أبناء مصر الذين حركوا فيه الأضواء ، فوصف لهم الدواء ، وحلق بهم فى الأجواء وأثرى حياتهم الثقافية الشعبية التى كادت تموت منسية ، وراح يسعى سعيا جادا لتأكيد الحقائق بلغة جذابة خلابة ، شائقة ، ممتعة ، كما نهض للعمل على ترسيخ منهج العقل والمنطق ، ولم يتوقف عن البوح وهو يشاهد الفراغ يتسع من حوله ، لقد ضحك الحجاوى ، ولم تضحك له الدنيا ، ويبكى الحجاوى فيمطر الألم ويسلمه ودائعه ، أشاهده فى الستينات بالمنصورة مع فرقته ، وأتابعه فى سرادق الحسين الرمضانى ، يشدنى إليه فنه ، والذكاء الحاد الذى يتمتع به ، كما تشدنى خبرته الواعية ، ووطنيته الصادقة ، وما يحيط به من ثراء فنى ، وتفتح على التراث برؤية جديدة ، ونظرة ثاقبة ، لا تغير الجوهر ، ولا تمسخ الحقائق ، ولا تشوه الشكل أو الحق الذى لا مهرب منه .

إنه يقدم لنا الفن بأسس مقررة ، وقواعد فنية معلومة ، ويضمنه طاقات فعالة ، تعطيه أبعادا أكثر عمقا ، وأعظم تأثيرا ، وأشد تعبيرا ، وتنويرا ، وتثويرا ، لأنه على دراية بأصول عمله وما يتطلبه هذا العمل من عناصر التشويق ، والتعقيد والحل وما إلى ذلك من أمور فنية يتطلبها فن القص ، كما امتلك الحجاوى ناصية الزجل ، وصدق فيه قول الأديب الفرنسى أندريه جوبر (١٨٦٩م-١٩٥١م) إذ يقول :

(إذا ظهر فى أى بلد شعراء مجيدون ، وإذ أحب هذا البلد قراءة الشعر ، فأعلم أن النظام السياسى فى هذا البلد صالح وقويم ، أما إذا خلا البلد من الشعراء النوابغ ، وإذا عزف الناس ، وانصرفوا عن قراءة الشعر ، وترديده ، وترتيله والتغنى به ، فأعلم أن النظام السياسى فاسد ومعوج ، وفى البلد الأول

المحب للشعر يندر أن تقوم الثورات والمشاكل ، وفى البلد الثانى الذى لا يحب الشعر ، ولا يتغنى به الناس ، قلما يهدأ الناس أو يرضون عن حياتهم) .

وكان الحجاوى بذرة الشعر الصالحة التى تنبت خير نبات وتأتى بأحسن الثمرات ، فاستحق الإشادة بما قدم حتى لا تندثر عملة الوفاء من حياتنا .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الحجاوى من ظرفاء عصره ، وكنيته (أبو الزيك) ولقبه : (عاشق المداحين) و (الزعيم) لاشتراكه فى المظاهرات ضد الإنكليز ، ولقد كون أول فرقة للفنون الشعبية فى بداية الستينات .

ولقد نشرت قصصه فى مجلة " الأديب المصرى " ولم تعجب الناقد أنور المعداوى ، فقاطعه عاشق المداحين معلقا :

" ح أجيب بريانتين وألمع شعرى واعمل ناقد " ، لأن أنور المعداوى كان يضع البريانتين على شَعْره .

وقفة

قد يقول قائل : أين نحن من واقعية الحجاوى الآن ، وعلــــى هــذا السؤال نجيب بأن الحكم اليوم علـــى الحجــاوى لا ينبغــى أن يكــون بمقاييس النقد الحالية ، وربما كان فى حديث الدكتور جـــابر عصفــور الرد الكافى الشافى فى هذا الموضوع إذ يقول [1] :

(إن سرعة إيقاع تحويلات النقد الأدبى الحديث ظاهرة يلحظها كــل مشتغل بهذا النقد ، وكل قارئ له على الســواء ، أذكــر علــى ســبيل المثال " الواقعية " فى الخمسينات ، حين كان من الشائع والمـــألوف ، والمعتاد ، الحديث عــن الأدب الــهادف ، والأدب القــائد ، وتصويــر الواقع ، وتمثيل الحياة ، والعلاقات الاجتماعية ، والالتزام الــذى كــان نوعــا مــن الإلــزام ، والأدب التقدمــى ، مقــابل الأدب الرجعـــى ، والرومانسية الثورية ، مقابل الرومانسية الانهزامية ، (من يجرؤ على استخدام هذه المصطلحات فى الزمن الذى نعيش فيه بعد التحولات التـى مر بها النقد الأدبى ، وألقت بهذه المصطلحات إلى زوايـــا النســيان ، وجعلتها أثر ابعد عين ؟ " ويواصل حديثه بعد ذلــك قــائلا عــن هــذه المصطلحات : " إذ لا يذكرها إلا مؤرخ النقــد ، الــذى يتحــدث عــن البدايات الساذجة للواقعية فى صبغتها الاشتراكية القديمة قبل أن تتحول إلى " واقعية بلا ضفاف " أو واقعية سحرية ، أو نظرية للانعكــاس ، أو

---

(١) انظر : إيقاع لاهث من التغير ، مجلة العربى ، العدد ٤٤٩، إبريل ١٩٩٦، ص ٧ .

"موازاة الرمزية ، أو بنيوية توليدية ، أو غير ذلك من مصطلحات متحولة هى بدورها تاريخ متسارع من التغيرات التى لا تهدأ ، ولا تعرف الاستقرار " .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى المفكر الفرنسى المسلم روجيه جارودى " رجاء جارودى " صاحب " واقعية بلا ضفاف " حيث يقول : كنت أنتقد " الواقعية الاشتراكية " التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ، والتى كانت تقول : إن الفن مجرد تصوير للواقع دون أى تغيير ، وهذا ضد الفن ، لأن الفن أساسا هو تعبير الواقع ، ورؤية مستقبلية لهذا الواقع ، وبالتالى إن لم يتحول الفن إلى تغيير مسار الواقع فى المستقبل فإنه لن يكون فنا " (١) .

ولعل فى هذا القول أيضا ما يدعونا إلى القيام بصياغة جديدة لواقع مصرى ثقافى حضارى ، يقوم على العلم والعقل ، والدين ، والعقيدة ، لأن القيم كانت ، وتبقى باستمرار هى النبع الأصيل الذى تستمد منه مصر الحضارة ، فهى أم التاريخ ، ولقد قال بهذا أحد رجالات العلم والفكر فى الغرب وهو " جورج سارتون " الذى شهد بالتقدم الحضارى لمصر ، كما شهد بدورها فى الحضارة والمعرفة والعلم والأخلاق على امتداد العصور ، والواقع يحملنا إلى دواعى الإنصاف الموضوعى التى تقتضى القول بأن الحجاوى فوق كل هذه المصطلحات ، إنه الشموخ ، والأنفة ، وبهاء الذكريات ، فقد كان يدعو إلى " تمويد الأدب " بمعنى تحويله إلى أدب مشبع بالمفهوم المادى عوضا عما كان الإشتراكيون

---

(١) وانظر ، الأهرام القاهرية بتاريخ ٢٢أكتوبر ١٩٩٦م ، ص ٢٣ .

يقولون به أيامه من " واقعية اشتراكية " وإلى هذا المصطلح "التمويـد " أشار نعمان عاشور فى كتابه (مع الرواد) ، كما أشــــار إلـــى التيـــار اليسارى الذى جرفه فنادى باشتراكية تختلف عن الروس والأوربيــن ، والاشتراكية المادية السائدة فى زمنه [١] .

(١) نعمان عاشور ، مع الرواد .

نظرة عجلى

يقول الحجاوى فى " **فن المربع** " : إن النظرة العجلى لموقف الدراما فى السيرة الهلالية قد تنبئ بأن التعصب القبلى ، والتفاخر الإقليمى هما الخيط الأحمر بها ، ولكن النظرة الجامعة لها تؤكد أن الفنان الشعبى الذى أخذ من واقع التاريخ ما حدث لهؤلاء الفوارس من قبيلتى " بنى سليم " و " **بنى هلال** " عام ٤٤٤ هجرية ، وانتشارهم فى الوديان والبطاح يبحثون عن استقرار آمن ، وما حملوه معهم من مثل عليا وفضائل إنسانية كانت كلمة السر فى انفتاح قلوب الشعوب الشقيقة لهم ، لم يكن همه ، هم ذلك الجد العظيم إلا إثارة هذا النضال البطولى لدفع العواطف دفعا نحو إذابة الإقليمية فى بوتقة القومية العربية الأم . قوميتنا العربية تلك التى كانت الجدار الضخم ضد الهوس الأوربى التعصبى مرة ، والاستلابي مرة أخرى .

وهكذا يعكس لنا الحجاوى الفكر الشعبى وسماته الأصيلة التى يتنسم الأحفاد شذاها كجزء من التحول الثقافى ، وجزء من شبكة العلاقات الاجتماعية القادرة على رسم الواقع دون تزيينه أو تزييفه ، بل هو يعمد إلى توصيفه من خلال رؤية ثاقبة للسيرة الهلالية وما فيها من عفوية وتلقائية مما ينم عن عبقرية الحجاوى الذى رأى فى السيرة رؤية خاصة ذات طابع فلسفى تعبر عن واقع معاش وقف الحجاوى غير بعيد يملأ عينيه منه ، ثم كر بصره راجعا إلى وراء يتبع آثار طيف من سليم وبنى هلال ألح على خاطره فراح يعطى عميق إيمانه

ويقدم صدق دلالته وقد خايله الأمل فى أن تنجلى الغمة عن قريب بعـــد أن ران على العروبة ذلك الصمت المكدود .

وحين ننظر بروح التجرد إلى ذلك الفكر الشعبى الذى اخترق ركـــام الواقع ووصل بنا إلى فكر جديد يصبح من اليسير النظر بوضوح إلـــى الأمنية التى تختمر فى ذهن كل عربى غيور يتـــوق لإذابـــة الإقليميـــة البغيضة ، والحواجز التى تفصل بين مختلف الدول العربية ، وذلك أمـل نصبو إليه جميعا ، ولقد رآه الحجاوى فى التاريخ الشـــعبى العربـــى ، فبدأ ينفض عن أرواحنا غبار الوحشة ، ويرشق وردة فواحة العبير فى جسد الإبداع ، يحمل بين جوانحه الفكر المبدع الخلاق برغم ما يعتمـــل فى قلب الزمن من نصب وشظف ، نرى الحجاوى بفتـــح نـــافذة مـــن الزمن المغلق الذى أطبق على أنفاسنا وصدورنا ، ويتقـــدم الحجـــاوى ليمسك بالحبل السرى الذى يمتد ما بين الحياة والموت ، وتتحول فكـرة النضال البطولى فى السيرة الهلالية إلى جسد يعانق رعشة الإيحاء لدى الحجاوى ، ويمتد بصره إلى بوابة الخشوع فلا يرتد حسيرا ، و ها هـو يفتح لنا دربا فى الأيام بنداوة الكفين ، ويتقطر فكره من كأس القلـــب ، وأخشى إذا أنا أرسلت قلمى يكتب فيه ملء عنانه أن يستعر مـــع هـــذه الوريقة ، ومن ثم رأيت ضبطا للتناول أن نذكر علاقته بالرئيس الراحـل محمد أنور السادات فنمسها مسا سريعا حتى لا نحرم هذه الدراسة مـــن هذه العلاقة المميزة .

السادات والحجاوى

كان الحجاوى يأمل فى اشتراكية تجمع بين مبادئ الإسلام كما تحققت فى عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين ، بحيث لا يمكن اقتلاعها من كياننا ، ويمضى نعمان عاشور متحدثا عن الحجاوى فيقول أنه اختار لكتابه عن سيد درويش عنوانا طريفا هو " **دكتوراه من الله** " لأن الشيخ سيد درويش صاحب موهبة موسيقية تعادل درجة الدكتوراه ، لكنه حصل عليها من الله ولم يحصل عليها فى الجامعة ومازال الكتاب مخطوطا لم يطبع حتى الآن . وقد سبق لنا أن قدمنا ما يؤكد استماع الحجاوى لأسطوانات الشيخ سيد درويش منذ أن كان الحجاوى طفلا فى بيت والده ، مما غرس فيه حب الشيخ ، فكتب عنه بمشاعر صادقة ، واتخذه خليلا برغم الغياب .

ومن أصدقاء الحجاوى : **نعمان عاشور** (أجا - دقهلية) ، و**عبد الرحمن الخميسى** الكاتب الشاعر الفنان الراحل ابن منية النصر دقهلية ، والكاتب الساخر **محمود السعدنى** ، و**سعد مكاوى** ، والراحل **يحى حقى** ، كما كان الرئيس الراحل **محمد أنور السادات** من أصدقاء الحجاوى ، يخصه بعطف ، ويؤثره بتقريب ، وقد ساعد الحجاوى السادات وسهل له التخفى فى المطرية ببيت والده ، حيث كان السادات مطلوبا للمحاكمة فى قضية مقتل (أمين عثمان) فى فترة كفاحه قبل ثورة يوليو ١٩٥٢م ، وقد ذكر السادات هذا الحدث فى أحاديثه ، وكان السادات يستعير الكثير من مصطلحات زكريا الحجاوى فى خطبة ومنها : أخلاق القرية " و " كبير العائلة " وما إلى ذلك من تعبيرات هى من مبتكرات

زكريا الحجاوى ، وعندما زار السادات مدينة المطرية دقهلية سنة ١٩٧١م ليضع حجر الأساس لترعة السلام ، قام بزيارة خاطفة لمنزل الحجاوى ، وقرر تحويله إلى متحف يضم أعماله وتراثه يسمى باسم (متحف زكريا الحجاوى) لكن هذا القرار الرئاسى لم ير النور حتى الآن ولم ينفذ لأسباب لا نعلمها ، ولقد كرم السادات الحجاوى بعد وفاته ، ويبدو أن الحجاوى سترعن السادات ما حاق به حين صفى فرقته لضيق ذات اليد والإعسار ، والتحق بالعمل فى دولة قطر الشقيقة ، حيث قدم رحيق جهده وفنه فى العمل هناك أملا فى الانتقال إلى وضع معيشى معقول ، وظل الحجاوى مثالا ناطقا للمروءة والفضل ، وعاش بقية عمره طاهر الذيل ، صادق العزم ، وبهر الجميع ، باجتهاده وعلو همته ولم يجأر بالشكوى لأحد ، فهو لا يطمع فى شئ إلا أن يكون مرضيا لله والناس ، وبات الحجاوى يقطر ألما حتى اللحظات الأخيرة من عمره ، وانسحق حتى العظام ، وحاصره الزمن داخل حصونه الفولاذية ، ويحاول الحجاوى إزاحة مرارة الغبن عن قلبه دون جدوى ، يتابع أخبار مصر فى غربته ، يحن إلى مسقط رأسه (المطرية – دقهلية) ، يذكر ما كان من تجليات ، ويحاول الهرب من مأزق الدنيا فلا يقبض إلا الريح ، وتعلو رنة الأسى ، وتقدح نيرانها بالقلب فى مشهد ملئ بالعبثية ... نتطلع حولنا ، نبصر بالحجاوى شامخا ، نضمه إلى صدورنا برغم الرحيل فيشق للخير فوق خرائط الصدر مجرى ، ويعطى القلب جواز سفره ليشرق فيه صباح الأبد ... نعتصم بالأمل ... بالحجاوى فهو واحد من زمن لم يبق فيه من الكبار إلا القلائل .

الشهادة

كانت كلمات زكريا الحجاوى منشورات شعبية لفض الاشتباك بين الفن والنقد ، وله فى ذلك كلمات تتشظى وتتناثر هنا وهناك إذ يكتب (1) : "الفنانون الشعبيون يحبون الجناس والتورية ، وكلما تلا المنشد البيت من الموال أصغى المستمعون ، مترقبين البيت الثانى ، ثم الثالث ، فإذا تكررت اللفظة ، وتعددت معانيها تبعا للسياق ، أى حملت كل منها معنى جديدا ، كان لذلك وقع السحر عند المستمعين ، واعتبروا هذه القطعة المغناة موالا حقا ، لأنه يحمل (الزهر) والزهر هو : اللفظة العامية التقليدية عند الفلاحين التى تحتل مكان كلمة الجناس الاصطلاحية ، وذلك لأنهم يقفون عند اللفظة و " يزهرونها " أى ينبتونها بالتساؤل والتفسير ، كما ينبتون الزهرة ، فإذا فرعت المعنى ، عرفوا نوعها " .

والموال عند الحجاوى كما ترى يعمل على تطهير النفس من الإحباط واليأس حين تكون الحياة الدنيا حبلى بالظلام الدامس ، يمتد الموال كسنابل الضوء ليزيح العتمة ، ويحقق الراحة ، ويبعث الطمأنينة فى النفوس فيكون بمثابة "ولادة فى مواجهة العواصف ، والموال موقد من مواقد النار فى شتاء الفلاحين وفى أفئدة البيادر ، والأعراس ، والحقول . ترقص القلوب على إيقاعه ، وتنتشى عند سماعه ، والمتأمل فى اهتمامات زكريا الحجاوى يعرف إلى أى حد كان

---

(1) مجلة الغد ، فبراير ١٩٥٩م .

يسعى للتنوير فى وقت تزاحمت فيه الجهالة بالمناكب ، فراح يبـدد إرث اللعنات ليمطر الحب فى المشارق والمغارب وتـهرب العنـاكب ليبـدأ الحلم ، وتوصد أبواب الظلام للأبد .

لم يتوقف الحجاوى عن الغناء حتى رحل ، وحلق مع الطيـور فـى سماء الفن ، وعاش للضوء ، للفجر ، للوحى ، لرياح التغير و التحـور من السراديب ، والرمال التى دفن فيها الطغاة رؤوسهم ، ومرت حياتـه كالبرق ، لكنه أضاء الخمائل لتجود بالعطر بعد الرقـاد ، وبعـد طـول انتظار .

وكلماتنا عن زكريا الحجاوى نتف قليلة مبعثرة لا ترقى إلى مسـتوى قامته وقيمه ولكن هذه بضاعتنا نكحل بها أجفـان فنـه وهـى علـى تواضعها خير من السكوت ... إنها الشـهادة ... ولا ينبغـى أن نكتـم الشهادة مهما كانت الأسباب .

إبراهيم رضوان
(٩/٩/١٩٤٣م)

١. إبراهيم رضوان شاعر المقاومة .
٢. المشنقة .
٣. الجنازة .
٤. قميص يوسف .
٥. شاعر المقاومة
٦. شاعر الحرية الثكلى .
٧. الهوية المصرية .
٨. صناعة الحلم
٩. مسك الختام

إبراهيم رضوان
شاعر المقاومة

إبراهيم رضوان شاعر يفسح فى وجدان المتلقى وقلبه وصدره ، مكانا دافئا للشعر العذب ماؤه ، الجميل رواؤه فقد حذق هذا الفن أتم الحذق وتجشم من أجله الأهوال ، وعاش وفيا لمدرسة الأصالة ، واحتفى بالشكل الفنى بعيدا عن الخطابية الرنانة فهو فى إبداع مستمر يتجدد مع كل قراءة خلاقة ، وتأويل ، وتجاوز ، ولا أتصور أن ما أقدمه من نماذج شعرية أفضل ما نظم إبراهيم رضوان فأنت تقع فى دواوينه على نصوص أكثر خصوبة ؛ لأنه شاعر يضم جوانحه على النار التى تتأجج فى أعماقه فتذيب نفسه فى شعره الذى يصور فيه ما يلح على نفسه من شوق وحنين ، و.ب لا يملك منه فكاكا ، يفرغه فى قصائده التى تتميز بالعاطفة الصادقة ، والخيال الواسع ، والصور الفاتنة ، والنسيج الساحر ، ولهذا كانت لنا معه هذه الرؤية النقدية بنصوص دالة لها حضور متفرد .

فالهدف من الفن على حد تعبير الناقد الشاعر الإنكليزى توماس إرنست هيوم (١٨٨٣م-١٩١٧م) :

(هو الوصف الدقيق المتقن والمحدد ، وأول ما يجب أن نعرفه هو الصعوبة البالغة فى الوصول إلى ذلك ؛ لأن المسألة لا تقتصر على مجرد الحرص . إن عليك أن تتوسل باللغة ، واللغة ذات طبيعة عامة ، أعنى أنها تعبر عن ما هو مشترك بينى وبينك وبين الجميع ، ولكن كل إنسان يختلف فيما يراه عن غيره بعض الاختلاف ، ولكى يعبر عن ما يراه بوضوح ودقة فلابد من خوض صراع

هائل مع اللغة ، سواء أكانت الكلمات فى الأدب ، أم بوسائل التقنية فى غيره من الفنون) .

إن للغة طبيعتها الخاصة (ونعنى هنا اللهجة) كما أن لها مواضعاتها التقليدية ، وأفكارهـــا المشـــتركة ، ولا يمكـــن أن نملـــك ناصيتـــها ، ونسخرها لما نريد إلا بجهد عقلى مركز .

ولأن شاعرنا من الأصوات الشعرية التى تغرى بالدراســـة ، ولأن إبداعه من الكثرة بحيث يحتاج إلى مساحة كبيرة لا تتسع هذه الدراســة لمثلها ، فإننا سنكتفى هنا بنماذج شعرية تلم بشكل أو بـــآخر بتجربــة الشاعر الفنية الرائدة فى شعر العامية المصرية .

فى ديوانه [1] يرسم لنا إبراهيم رضوان خارطة للجرح ، ففى قصيدة بعنوان : "اللوحة الناقصة" يفصح عن أسراره فيقول :

" فى طريق ـ فى قلبه جراح ـ هبت على الرياح ـ طفتلى فى شموعى ـ أنا من يوميها قتيل ـ نايم يا ناس ع الليل ـ متغطى ... بدموعى " .

والأبيات تشى بكثير مما تميز به شاعرنا من خصوصية على مستوى اللغة / اللهجة ، والصورة ، ومضمون الرؤية دلالة وقصدا ، وإقبالا على مدار الكشف الشعرى الحقيقى .

وفى قصيدة بعنوان : " الصفر " يقول :

" من يوم ما جابنى الشوق على ضهرى هنا ، عطشان ... جعان ، خايف أبان للديدبان ، خايف لقلمى ينكسر بين الحيطان ، خايف ولكن مش جبان ، خايف وخايف يا حبيبتى م الحيتان ، من جيش ديدان ، خايف أنا م الصولجان " .

إنه إبحار إلى اللب ، إلى الداخل ، تتجلى فيه ملامح فكر شاعرنا ، وتتكثف ، وتتكشف فى آن واحد معا ، والشاعر هنا لا يعتريه الوجل وهو يغوص فى ضمير الأمل معانقا المدى المرتحل ، وهو فى قصيدة بعنوان " حوار " يقول فى أبيات مبللة بالدموع :

" شايف يا إبنى القمر ، فارش علينا ضياه ، فيه ياما ناس عاشقاه ، وكتير كتير م الناس ، ماشيين على خيوطه ، مد الإيدين هاته ، ويرد طفل ضعيف ، خنق الهزال صوته : لأ يا امه نفسى رغيف "

---

(١) الدنيا هى المشنقه ، الصادر عام ١٩٦٨م .

والصورة فى القصيدة تتميز ببراعة وذكـــاء الإلتقـاط والـتراكيب الشديد الخصوصية والتفرد ، ونحن هنا لا نسعى إلى تســمية المعنــى الذى أراده إبراهيم رضوان ، ولا نعمل على وصف إبداعــه فـالوصف الأفضل للعمل هو العمل نفسه ، ولكــن الإشــارة التــى تعنينــا هــى الخصائص المجردة التى تصنع الحــدث الأدبــى لــدى شــاعرنا ، أى الأدبية ، إذ ينبغى لكى نفهم الشعرية التمييز بين موقفين : يـرى أولهما فى النص ذاته موضوعا كافيا للمعرفة ويعتبر ثانيهما كل نــص معيــن تجليا لبنية مجردة ، وهذان الاختياران لا تعــارض بينــهما ، ويذهــب الموقف الأول فيما يرى " تودوروف " إلى أن العمل الأدبى هو الموضوع النهائى والأوحد ، ويسمى بالتأويل أو التفسير أو التعليــق أو شــرح النص أو القراءة أو التحليل أو النقد إذ يتحدد الموقف التأويلى بمرمــاه وهو تسمية معنى النص المعالج ، ويحدد له المرمى منذ الوهلة الأولــى ، مثله الأعلى ، وهو جعل النص يتكلم بنفسه ، وبعبارة أخــرى ، إنــه الوفاء للموضوع ، أى للآخر ، وبالتالى إمحاء الــذات ، والحقيقــة أن تأويل عمل أدبى لذاته وفى ذاته دون التخلى عنه لحظـــة واحــدة ، و دون إسقاطه خارج ذاته لأمر يكاد يكون مستحيلا ، فالقراءة مسار فــى فضاء النص على حد تعبير " محمود نسيم " هذا المسار الــذى يفصــل المتلاحم ويجمع المتباعد .

الجنازة

بعد ديوانه : " **الدنيا هي المشنقه** " قدم إبراهيم رضوان ديوانا بالعامية المصرية ، بعنوان : " **أنا ... والليل** " ثم قدم مسرحية شعرية بعنوان : " **السبرسجى** " فازت بجائزة الإبداع فى العراق ، كما قدم مسرحية شعرية بعنوان : " **آلة التسجيل** " وقد فازت هى الأخرى بجائزة التميز فى سوريا ، ويتجلى إحساسه المفعم بالزمان والمكان ليكتسبا بعدا حقيقيا فى التوحد ، وذلك فى ديوانه : " الجنازة " ففى قصيدة بعنوان : " جوابات من شهداء يونيو " يقول الشاعر : " **و... لأننا ... قبل ... الصلا ... ما اتوضناش : الملح فى شرياتنا باش ، راح القمر لكن ما جاش ولأننا قبل الصلا ما أتوضناش ضاع دمنا الأخضر بلاش** "

الكلمات طيور ترفرف فى كبد الأفق ، تنطق بالحقيقة قطعا لألسنة الشائعات وقالة السوء والإفك الذين نطقوا بغير الحق عن الأوضاع المتردية التى تثير المواجع والآلام " **وفى قصايد لبكره** " بديوان الجنازة تحت عنوان " **المستحيل** " يحاول شاعرنا التنفيس عن نفسه فكانت هذه الأبيات :

" **هاتولى بندقيه ، لاجل اوفى بالميعاد ، هاتوا لى بندقيه ، لاجل احصد جيش جراد ، هاتولى بندقيه ، ليها ميت مليون زناد** " .

إن شاعرنا يحمل قلبه المكلوم ويضعه على أوراق القصيدة ، تلفنا نبرات الحزن فى عوالم شتى ــ استمع إليه دون أن يفسد قوله الشرح والتحليل والتعليل تحت عنوان : " **الطريق والضفادع** " حيث يهتف :

" يا حبيبتى ، لسه رغم النكسه نـاس مـاهش معانـا ، لسـه رغـم النكسـه نـاس عايشه ما بينا ، قلبهم مليان خيانه ، الفدانى مـالوش ولا حـرف ف حديثـهم ، الكـلام لاعرج ما صمهم ، والتفاهه ... كل يوم لازم تـدوسـهم ، وإن مـا صدقتـى الكـلام ده ، افتحى الراديو تشوفى ، واقرى جرنان النهارده "

إنــه يؤكـد لنـا مـن جديـد أن العمالقـة يحبـون خصومـهم ، والأقزام يكرهون أنفسهم ، ويدخل شاعرنا مع الخونة فى هجاء لا يبقى ولا يذر ، ولعلك تهفو لسماع قوله فى قصيدة "الجنازه":

" آه يا مدينتى يا ضيقه ، الهمسه فى سمعى : رصاصه ... مطرقـه ، آ... ه يـا مدينتى يا ضيقه ، قمرك ماهش ناوى يعود بعد السفر ، وشوارعك السـوده ملانـه بالحفر ، وانتى : صبحتى عجوزه ... شايبه ، زدتـى آلاف السـنين ، النـاس علـى أرضك عرايا ... ميتين ، وحدادى شاربه دمهم صبح ومسا ، وجثثهم البايشـه علـى صدر التراب مترصصه ، كل اللى فيكى ميتين ، إلا حبيبتى المخلصه " .

إنه يستشرف الرؤى من خلال الوطن ويتمرد على ابتـذال الواقـع المتصدع بأسلوبية تعبيرية جديدة تحمل ملامح المأساة / الجنازة وهـى تعنى فى اللغة : " النعش والميت ، والمشيعون " .

قميص يوسف

أمام المتلقى فى ديوان " **قميص يوسف و تشـنجات** " **لإبراهيـم رضـوان** مهمة شاقة للكشف عن المستور المتولد من علاقة النــص وتفاعلــها داخل شبكة من المعانى التى تتكامل فيها الرؤية بحيث تظهر بــالقراءة الواعية المتنامية ويتكرر هذا البيت فى الديوان كثيرا : " **بـس القميص لا كان قميص يوسف ولا** " ليشير إلى تكرار الحدث مرارا ، ودلالة البيت فــى التاريخ معروفة فى " **سورة يوسف** " وشاعرنا نجــح فــى ربــط البيــت بالسياق الذى جاء فيه ، والبيت بهذا لا يمثل شذوذا عن الوحدة الدلالية والبنية التى تنتظم القصيدة :

" اصرخ وارعش فى الخلا ، بس القميص لا كان قميص يوسف ولا ... تخمـد ميـاه الزلزله ، والقى القميص مكتوب عليه اسم الصديق ، اللى ما زال بيشن حرب إهانـه واستنزاف وفاتح جيبه لرياح الرياض ، والدوحة وبـلاد النخيـل النايمـه فـى بحـور الطحينه والفلوس ، والـثرثرات ، والمضمضـه ، واللجلجـه ، والتهتهـه ، والإفـرازات المقرفه " .

ثم يعود إليه مرة ثانية :

" بعد الصلا ، أصرخ وارعش فى الخلا : بس القميص لا كان قميص يوسف ولا ... أضغط بإيدى الزلزله ، وأبص بصه على القميص ، القـاه قميـص نـوم الصبيـة اللـى انكفت منذ انكفت ، تسحقنى اتحول سحالى وكوم إبر " .

وتتواصل ملحمة القهر والألم ، والضياع والهزيمة :

" بس القميص لا كان قميص يوسف ولا ، ارتاح فى قش الهلهله والصندل المركون على شط الخرافه والعفن " .

والكلمة ليست مجرد حروف متجاورة متراصة ملفوظة أو مكتوبة ، إنها بنية ذات دلالة عامة حتى فى تفردها الخاص :

" **اصرخ وارعش فى الخلا : بس القميص لا كان قميص يوسف ولا ... تهاجمنى غربان الفلا** "

إن اللغة /اللهجة هى علاقة دالة داخل الكلمة المفردة أو بينها وبين غيرها من الكلمات بما يشكل بنية نسقية لها قوانينها الداخلية الخاصة على حد تعبير الكاتب الناقد المفكر " **محمود أمين العالم** " فى كتابه : " **لغتنا العربية فى معركة الحضارة** " ، على أنه برغم هذه البنية النسقية ذات القوانين الخاصة فإن اللغة مشروطة بعلاقتها الجوهرية الأولى بالإنسان ، إنها لغته /لهجته ، وهو إنسانيتها ، ولقد استطاع شاعرنا أنسنة اللهجة / اللغة بصيحة تنبيه وتحذير من خطر فادح ، فكانت كلماته بمثابة أجراس للتنبيه ، ويتكرر البيت الشعرى يليه قول الشاعر : " **مات الفتى علشان ضلوعى مهمله** " .

ثم يتكرر ويتبعه شاعرنا بقوله :

" **بصيت على راية العلا ، وقع القميص من فوق سطوح الفقر** " .

وفى ختام هذا الديوان يصرخ شاعرنا بعد هذا البيت المكرر بقوله : " **البحر بالطوفان وبالموج اتملا** "

وهكذا ينثر شاعرنا اللؤلؤ فى أغوار شعره ويرفع عن الأعين عتمة اللثام ، ويفتح باب الشمس للقلب المكمم العليل .

شاعر المقاومة

وجل أعمال إبراهيم رضوان تصب فى نهر المقاومة شأنه فى ذلك شأن شاعر المقاومة الفرنسية " لوى أراجون " الذى قال عنه " جيفرى بريرتون " فى كتابه : " موجز تاريخ الأدب الفرنسى " : كانت الحرب العالمية الثانية هى أعظم لحظات أراجون شاعرا ، فإذا حارب وبرز فى سنة ١٩٤٠م ثم انغمس فى حركة المقاومة غدا صوت فرنسا التى هزمت واحتلت ولكنها ظلت حية تتحدى ، وقصائد ديوانه " انكسار القلب" الصادر فى سنة ١٩٤٠م – تعبر عن وطنية بسيطة تجاوز نطاق الأحزاب ، حركت مشاعر الكثيرين خارج حدود فرنسا ، ولقد واصل هذا الخيط القومى فى ديوانه : " متحف جريفان" ١٩٤٣م ، وما يقال عن أراجون ، يقال عن إبراهيم رضوان شاعر المقاومة المصرية ، فهو صاحب " مدد مدد ... شدى حيلك يا بلد " تلك الأغنية التى رددها الشعب المصرى عن بكرة أبيه بعد النكسة التى حاقت بنا عام ١٩٦٧م وتحولت إلى مسرحية فازت بأكثر من جائزة عربية ، وتتعدد أغانيه الوطنية التى تدفع للتغيير والتأثير بنغمة جديدة خاصة ، حتى أغنيات الأطفال " بسبس نو " فإنها تقاوم القبح شأنها شأن سائر أعماله للأطفال نجومنا الزاهرة وجواهرنا البراقة ، فضلا عن الكبار فى ديوان" أغنيات " وديوانه " أشعار " (١) .

---

(١) الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ١٩٩٧م

والجزء الأول منه بعنوان : **النقش فوق الحائط القرميدى داخل مستطيل اللاشعور الأجوف .**

والجزء الثانى منه بعنوان : **الانفجار العاشر قبل الأخير فى صحراء الشعر المحتلة .**

والجزء الثالث منه بعنوان : **أول دخول الذات .**

ولو أننا استرسلنا بتفاصيل أكثر فى مناقشة وقوف **إبراهيم رضوان** فى صف الحرية والنبرة الإنسانية لمضى بنا الوقت ، فشعره العامى ، والفصيح يتخذ المقاومة مستقرا ومقاما وقد تهيأ له من أمره رشدا للدفاع عن هذه الحرية الثكلى .

ولقد وقر فى خاطرى أن " **قميص يوسف** " يدخل هو الآخر فى باب المقاومة ، على أننى بعد أن أمعنت النظر فى أعمال **إبراهيم رضوان** وطالعت رموزه أبصرت مشروعا ثقافيا ملتحما بقضايا المجتمع بجميع مكوناته ، وهذا هو السبب الذى أوغر صدور حساده عليه فتحير فهمهم ، وجال فى الخاطر وهمهم ، ورابهم ما قاله فى أشعاره التى كفر فيها بأصنامهم التى صنعوها وتحولت أبياته الشعرية إلى مرآة ترينا عوراتنا أملا فى النهوض ، ومن هنا فنحن أمام شاعر يحمل قلبا تتفرع أعواده بأوراق خضراء غير قابلة للجفاف ، إذ الإبداع ينمو بنمو فكره ، واستمرار حياته التى لا يمكن أن تقف حركتها لحظة ، إلا إذا أراد الله لها ذلك بعد عمر ندعو الله أن يطيله لنسعد بتوهج الإبداع فى خمائل شعره التى لا تميل ولا تنحنى فى اشتداد العصف .

شاعر الحرية الثكلى

باتت الأعمال النقدية المصاحبة لحركة الإبداع مفقودة ، وأصبحت حركة الشعر رغم كل الادعاءات التى تحاول أن تثبت العكس - بلا ذاكرة ، وبلا نقد ، ولهذا كان من الضرورى تسليط أضواء النقد على الإبداع المسرحى الشعرى لعاشق الحرية الثكلى **إبراهيم رضوان** الذى بكاها أحر البكاء ووقف من أجلها فى وجه رجال كالغربان ونساء كالبوم .

إن **إبراهيم رضوان** الذى نراه فى شوارع المدينة وميادينها ، وحواريها وأزقتها ومسالكها ودروبها هو هو الشاعر الذى يدافع عن القرية والنجوع والكفور وبهذا تحولت أشعاره إلى جسد يربط بين مناطق تباعدت وأضناها الاغتراب ؛ لإيمانه بأن هدف الأدب مساعدة الإنسان على احتمال أعباء ومتاعب الحياة بمد يد العون له ، وهاهو يجتهد لرأب الصدع فى كيان الأمة بتنوع وتكامل شعرى إبداعى مسرحى منه : " **قهوة ريش** " و " **يس ٢٠٠٠** " [1]، وفى اللوحة الأولى " **لقهوة ريش** " نسمع قبل رفع الستار :

(مصر طول العمر صامده	**مهما جار الليل عليها**
يا طابور علشانها عدى	**انت فى نظرة عنيها**

---

(١) والمسرحيتان ضمهما كتاب صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٧م

صر لما تقول لغول الحقد " لأه " تبقى لأه ، مصر لما تقول هاحرر ، أو هاعمر ، تبقى صادقه) .

وفى مسرحية " يس ٢٠٠٠ " وفى النهاية قبل إسدال الستار :

(يهتف المايسترو : احنا ولاد حوا وآدم كلنا ، وانا باعتبر نفسى حقيقى زيكم رغم المناصب ، والمواهب ، والبدل ، عمرى ما حسيت انى أحسن منكم وبرغم ده راح أقول لكم : " لو أى واحد فيكو مش عاجبه طريقتى فى الكلام ، ياخد فلوسه ، وعم أحمد اسماعين حا يوصله لباب الخروج ، يا عم أحمد اسماعين ، يا عم أحمد اسماعين ، يا عم أحمد اسماعين)

ويرد من بالصالة فى وقت واحد :

(سافر إلى دوله بعيده عننا)

لقد آمن شاعر المقاومة المصرية بأن المسرح يمنح الإنسان القناعة بالبقاء والوجود والتطور كما يمنحه القدرة على تعويض ما يفتقده فى واقعه المعاصر حيث يقدم ظواهر مفتقدة مما يشكل للمشاهد تواصلا مع تاريخ وجوده ، أو التعويض عما افتقده بحكم التطور على مستوى الوجود ، أو التعويض عما افتقده داخل المجتمع خلال مراحل الانتقال والتغير الذى يشمل حياة الإنسان ، ولأن المسرح يعيد التاريخ البطولى للفرد فى صراعه مع الطبيعة والمجتمع ونفسه - على حد تعبير عونى كرومى - راح إبراهيم رضوان يعمل على وصل خطوط المراحل الحياتية للوطن ليثير فينا رغبة التفكير بإبداع لا يتوقف يسبر كل واقعة تتعلق بالإنسان فى خطابه الشعرى المسرحى .

لشاعرنا مسرحيتان من فصل واحد همــا [١] : " سفينه فـى الهـرم " و " المنطقه الرابعه " وفى المسرحية الأولى يطوف حارس الــهرم حولــه حاملا بندقيته ويهتف : " آه يا زمن كرباج ملسوع ضهرى فـى سنين الفـلا جنـدى حراسه صحيح أنا ، لكن ساعات باشعر بأنى عاصى ، وسـلاحى اللـى فـوق كتفـى بقايـا سلسله ، لا حضن دافى ضمنى أبدا فى ليله ... ولا ... ولا، جندى حراسه والخلا ، هـو صديقى فى دايرة الملل اللعين ، لاعين شافتنى على الطريق غيره ولا حضنتنى عـين . جدران ، بيبان ، شبابيك ... فراغ ... غربان ... قلق ، كان نفسى أجيبلك يا حبيبتـى قبل ما تموتى حلق ، كان نفسى قبل ما تغرقى ألفى من البحر الفريـق كلمـة غـرق ، كان نفسى أنام ... وتطبطبى على ضـهرى ، تحمينـى مـن اليـوم السـراب ، وتفتحـى الأبواب لدقات الدفا " .

واللغه هنا لغة التصوير المكثف ، والخيال الخلاق ، وهى حركة تبدأ من السطح ثم تتسامى فى الأعالى ، وتغوص فـــى الأعمـــاق ، وهـــى العبور من الثبات إلى الحركة والتحول ، ومن المحدود إلى اللا محــدود ، ومن الانطلاق من القيد إلى التحرر منه ، وتظل السبيل الأمثل لتـأليف جمال متكامل العلاقات ، متناغم الأصوات على حد تعبير صاحب طاقــة اللغة وتشكل المعنى (عبد القادر الرباعى) إنها باختصار شديد مـدارات من الدهشة ، وهل تنضب الدهشة البكــر ؟ وهـل بمقــدور المقلديــن الدخول فى مثل هذه المدارات بصوتهم المزعـــج النكــير ؟ . الجــواب عندى فى مسرحية " المنطقة الرابعة " فهى دعوى جــــهيرة ليتضـــامن

(١) مديرية الثقافة بالدقهلية ، قسم المسرح .

الجميع لدعم حرية الفكر بدلا من الجهاد الصامت ، وفيها يهتف صـوت من الداخل :

" **المنطقة الرابعه ، بتهنى أصحابـها ، واقـف علـى بابـها أوزوريـس - بيستأذن - يرجع لكم تانى ، بس اللى أثر فيه - هو اختفاء " يس " - أوزوريـس لقـوا دراعـه ، جنب الـدراع إنجيـل ، جنـب الـدراع مصحـف ، ودوا الحاجـات دى فـين ؟ ودوهـا فـى المتحف ، علشان تجيب عمله** " .

إنه يســتلهم فكرتــه مــن التــاريخ الفرعونــى ويقــوم بإحيــاء قصة " **إيزيس وأوزوريس** " حيث أنه من المعروف أن أوزوريس قتل بينما كانت زوجته حاملا فى ابنها " **حورس** " وحين ولد " **حورس** " حاول عمــه " **ست** " قتله ، فهربت به " **إيزيس** " حتى كبر ، ثم عاد لينتقم من قـــاتل أبيه الشرير " **ست** " ويسترد حقه ، ويرمـــز " **لحـورس** " فـــى التمـــاثيل والرسوم القديمة بالصقر ، وهو رمز المقاتل المصرى ، وشاعرنا يربط بين الماضى والحاضر ، إذ يعتبر الإله أوزيريس أهم وأشهر مـــن رأس مجمع الآلهة المصرية القديمة ، وظهرت عبادته فى الأسرة الخامســـة عندما ذكر اسمه فى متون الأهرام الخاصة بالملك " ونيس " آخر ملـوك الأسرة ، وذكر أيضا فى مقابر أشرافها ، واعتبره المصرى القديم إلـــها خالقا له القدرة على الخلق والابتكار ، ومثله ربا للعالم الآخـر وسـيدا للموتى ومن ثم الأبدية ، وبرغم اعتقادهم بأن كل الآلهة عرضة للمـوت إلا أنهم استثنوا أوزوريس لأنه عاد إلى الحيـــاة مـرة أخـرى وفقـا للأسطورة بعد القتل بواسطة أخيه الشرير " **ست** " الذى وزع أجـــزاءه ، وارتبطت عبادة أوزوريس بهليوبوليس وهـــى "**عـين شمـس**" حاليـا ، إذ جمع فى متون الأهرام مع إيزيس وست ونفتيس كواحـــد مـــن أبنـــاء

" جب " رب الأرض ، و " نوت " ربة السماء ، وواحد من التاسوع عين شمس العظيم ، وتشير نقوش الأسرة الثالثة فى هليوبوليس إلى أن أوزوريس صُوّر بها مع بقية أفراد التاسوع المقدس ، وأوزوريس معناها: "حدقة العين" ، وهو ملك حكم مصر ، وهو حاكم عالم الموتى صُوّر فى هيئة آدمية ، وله باروكة شعر ولحية كما صُوّر على شكل المومياء ذات الأرجل المتصلة الملتصقة ببعضها إشارة إلى طبيعة الإله الجنائزية وارتباطه بعالم الموتى ، ولقد ظهر فى الدولة الوسطى بالتاج الأبيض فوق رأسه إشارة إلى أصله الصعيدى ، وارتبط بالزراعة ، والبعث والخضرة والنماء ، وإعادة تخصيب التربة ، وكان له الدور الأعظم فى محكمه الموتى فى العالم الآخر ، واتحد مع عدد من الآلهة الأخرى فى مصر القديمة كما يقول باحث المصريات" **الحسين عبد البصير** " واعتقد علماء المصريات أن مقبرة **أوزوريس** فى أبى صير أو أبيدوس وهما يحويان أهم أجزاء جسمه أما الرأس فهى فى **أبيدوس** ، وتعرف **أبيدوس** الآن بـ " **العراب المدفونة** " بمركز البلينا والتى تبعد عنها بحوالى (١١كم) إلى الجنوب الغربى منها بمحافظة سوهاج ، وقام **إبراهيم رضوان** ببعث تاريخ مصر من منظور جديد يعيد فيه ترتيب ما تجسد فى الملاحم والأساطير والحكايات والأناشيد الشعبية القديمة كالأسطورة الأوزيرية / الحورسية ، ويقدم ما يماثلها فى هذا العصر :

(أوزوريس ما جاش ؟ لسه ، إزاى ؟ ، أنا شفته واقف بيتفرج ، ساعة ما كان البوليس بيوزع السمنه ، وانا شفته بيعيط ، ساعة السباق ع الأكل ، والله بيعيط على حظنا المجنون ، وانا شفته جايب عون ، وانا شفته بيطبطب على بنت جار ميت ، وانا شفته بيبيت تحت المطر فى البرد ، وانا شفته بيحاول يخلق من الشوك ورد ، وانا شفته بيبارك طفلين بساط حافيين ، وانا شفته بينظم الزحمه ع الدكاكين وبيسرج

الشمعه ، وانا شفته بيغنى وبيمسح الدمعه ، وانا شفته يا أصحاب فى المنطقه الرابعه) .

هكذا يؤكد شاعرنا الهوية القومية الخاصة للشعب المصرى ويسعى إلى استخلاص العبرة الأخلاقية والتوجيه السياسى لتجنب أخطاء الماضى والحاضر فالتاريخ هو الأب الشرعى لكل العلوم الإنسانية ، وواحد من أقدم المجالات التى انشغل العقل الإنسانى بها ، وهو المجال الذى يمكن وصفه أو تسميته بأنه التعبير عن الاهتمام الإنسانى الخاص بالماضى البشرى ، واهتمام كل جماعة إنسانية : كيف ، ولماذا نشأت وتطورت وعاشت وأنتجت ثقافتها وحاجاتها المادية والمعنوية ؟ وكيف كانت علاقاتها بالآخرين ، والعلاقات الداخلية بين أفرادها وأجيالها وطبقاتها ؟ وعناية شاعرنا بالتاريخ تدخل فى باب الوعى الإنسانى بالذات والحرية .

لا شك أن أى تلخيص لإبداع إبراهيم رضوان ينتهى إلى نوع من الظلم لأفكاره ، ولكن يمكن أن نعى ما يتحلى به من نفاذ للبصيرة ، وصفاء للذهن وبعد للنظر واتساع للمدركات التى تنمو كالدوحة الباسقة الرائعة ففى مسرحية " يس ٢٠٠٠ "يسأل المايسترو :

(راح فين يا سين ؟ فيه ناس بتحلف أنه كان واقف فى طابور السمك ، وناس بتحلف انه كان واقف بيتخانق مع سواق جشع ، وناس بتحلف إنه كان واقف يعيط لما شاف الفرن قايد بالصحاب ، وناس بتحلف انهم فعلا شافوه ...واقف ينظم فى طوابير اللحوم ، وناس بتحلف انه بيدور على علبة سجاير للى بيهدوا الجدار ، وناس بتحلف انه كان ماسك قميص دكتور جبان ، وناس شافوه ع البحر مستنى السفينه الجايبه خيل ، وناس شافوه بيتف فوق كل الفرق ، وناس شافوه ... بيحاكم الظالمين على كل التهم ، وناس شافوه رافض يسلم ع العدو ، وناس شافوه ماسك خريطة للوطن ، فوقها فلسطين الحبيبة الطيبه ... زهرة خلاص ، وناس شافوه ويا العرب فى كل أنحاء الجزيره بيشرب الميه الحلال ، وناس شافوه ، لابس عقال أبيض شريف ... ، وناس شافوه ، وناس شافوه ...) .

شاعرنا هنا يسعى إلى ابتداع أساطير عصرية وذلك بأسطرة الواقع اليومى الذى يعيشه الناس ، وتجسيد الهم الحضارى والقومى العام للإنسان العربى بطابع تحريضى غايته التأثير فى المتلقين وفضح التشوهات واختراقها ، والنفور من الواقع الردئ ، والتمرد فى مواجهة الظلم والتزوير وغواية السلام الزائف وبوادر الرِّدة والتمزق والانكسار والقهر والخنوع والانحناء ، إنه يستفز المشاعر والعقول للتفكير من خلال رؤية فاجعة للواقع ، وهى رؤية تتركز فى مفارقات تصويرية

قوية الدلالة ، يتفجر فيها الإحساس بالفقد والضيـــاع ، فـــالجور هـــو السبب الحقيقى وراء إدراكنا لقيمة العدالة ، والزيف هـــو ســـبب مـــن أسباب اهتمامنا بالحقيقة ، والقيد هو سبب معرفتنا بالحرية ، والقبـــح وراء إدراكنا للجمال .

وشاعرنا يدعونا للمشاركة فى صناعة الحلم لافـــى تلقيـــه فقـــط ، ويستدعى التاريخ من أجل تنمية إحساس أكثر توازنا وسواء ، وواقـــع أكثر رقة ، وعلاقات أكثر ندية ، وروابط يحكمها التفـــاعل والتســـامح والتآلف .

والمعانى تصب فى صور خيالية ، والألفاظ تتوافـــر فيـــها صفـــة التجانس بين اللفظ والمعنى فنرى اللفظ رقيقا فى موضع الرقة ، قويـــا عنيفا فى موضع القوة والعنف ، تتوفر فيه صفة الجرس الموسيقى .

ورموزه تمثل محاولة لاختراق ما وراء الواقع للوصول إلى عـــالم من الأفكار التى تعتمل داخله بما فيها عواطفه .

ومن هنا استطاعت الرمزية عنده أن تعمق وتوسع أبعاد ومفـــاهيم الفن الشعرى المسرحى الذى خلقه .

ومع ذلك يظل الأمر بحاجه إلى المزيد من التوضيح .

مسك الختام

إن الوقت لا يتسع لإلقاء الضـوء الغـامر علـى خلفيـة شـاعرنا الثقافية ، ورؤيته الدينامية للصراع ، وأشـكاله الشـعرية ، أوزانـه ، موسيقاه ، صوره ، معجمه الشعرى اللفظى ، بناء جمله، المقارنة بيـن شعره وشعر غيره ... والقائمة طويلة .

وفى هذا المُنَاخ من التأملات نرى **إبراهيم رضوان** يقف بشـعره فـى صفوف الجماهير ، ولصالح الحرية والتقدم والمستقبل ، وبنـاء كيـان الوطن فى زمن الأذان فى مالطة .

إن كل عمل من أعمال **إبراهيم رضوان** له شكله الخاص فهو لا يكـرر نفسه فى أعماله ، ويعمد إلى لهجة يستوعبها مـن يلمـون بـالقراءة والكتابة ولا يستخف بها المثقفون حتى المستوى الأعلى منـهم فـهو يتحاشى المفردات التى تحتاج إلـى توضيـح ، وينـأى عـن الألفـاظ المهجورة ، ولا يبخل بفنون البلاغة التى تضفى علـى فنـه جمـالا ، ورونقا ، وترقى به عن المتداول الرتيب من الكلام الذى يدور فى فلكـه جل شعراء العامية المصرية ، وذلك إيمانا منه بأن الجمال والبلاغة من مقومات الأدب ، لكن البلاغة عنده بغير إفراط لأن من هذه الفنون ما لا يناسب شعر العامية كالتكرار والإطناب ، الأمر الذى يكون معه الإيجـاز والمساواة أكثر ملاءمة لهذا الفن ، فالإيجاز هو ضغط المعانى الكثـيرة فى ألفاظ قليلة ، أما المساواة فهى أن تكون الألفاظ على قدر المعـانى ،

ناهيك عن أساليب الإستعارة والتشبيه ، والكناية ، والتورية ، فنحن أمام شاعر يهتم بالتلميح أكثر من التصريح .

وبعد ... فإنه كلما زادت عظمة العمل الأدبى زاد طابعه الشخصى ، لأن مثل هذا العمل على حد تعبير " جولدمان " لن يتاح إلا لشخصية غنية قوية ، قادرة على أن تفكر فى كل جوانب رؤية العالم ، وتعيش فيها ، وإذا كانت رؤية العالم تظل فى حالة صنع دائما ، فإنها تبزغ بشق الأنفس فى وعى المجموعة الاجتماعية وتحتاج إلى الكاتب العبقرى النابه الذى يصوغها ويكشفها للوعى ، وكلما كان العمل أكثر تعبيرا عن كاتب عبقرى ، كان أكثر قابلية للإفهام الذاتى ، ومن غير أن يحتاج إلى إشارة لسيرة مبدعه أو مقاصده الواعية ، وهذا ما راعيناه فى الكتابة عن ابن من أبناء الدقهلية الشرفاء الشعراء ، ذلك الشاعر الذى يرسم فى صفحات الأفق معالم للدرب واضحة تأتلق ، شاعر يبحث عن الجمال البهى ، والبهاء الجميل ، والزمان الخصيب وثلة المخلصين الذين ينتظرون انبعاث الحياة على صوته الخاشع المبتهل فى ليل العذاب .

هذه هى سمات شاعر طالع كالضياء الأمين على ظهر جواد الشعر يضمد الجراح التى لم تندمل ، يرسم القلب أنشودة ولا يهيم مع الهائمين فى ذلك الليل الطويل السهاد ، الذى عاث فيه الفساد والاضطهاد ، ويقف كالنخل يبدى شوكا يذود به الأنامل عن جناه ، وهل بمقدور النخل التوقف عن البوح ؟ إن الذى يملك الإجابة هو شاعرنا إبراهيم رضوان .

سيد حجاب
(٢٣ سبتمبر ١٩٣٩م)

سيد حجاب
تجليات عصفور الحرية

السيد أحمد حجاب شاعر يغوص فى بحر من ضياء ، وجوهر مـــن نقاء ، ثم يعود لينشر قلوعه البيضاء الخفاقة فوق صـــوارى الســـفن ، فتتشعشع أنغامه بتجليات إبداعية ، وقصائد بصرية صوتية .

تاريخ ميلاده يشير إلى **٢٣ سبتمبر عام ١٩٣٩م** ، ومحل ميـــلاده يحملنـــا إلى **المطرية دقهلية** حيـــث بحـيرة المنزلـــة ، والأســـاطير ، وأغـــانى الصيادين ، وعظمة التراث ، وصوت زكريا الحجاوى ، وغناء عائلـــة البرامكة ، والحواديت والقصص ، والحكايات والأشـــعار والأســـمار ، والتاريخ والأدب ، وكتب الثقافة الرفيعة فـــى مكتبـــة والـــده الشـــيخ الأزهرى إمام المسجد الشاعر الذى عشق العيون فـــراح يعمـــل علـــى علاجها لأهل المطرية ، ولقد نهل **سيد حجاب** مـــن معيـــن علـــم أبيـــه ومكتبته ، كما اغترف الحياة من بيئة المطرية ، وحملها فى وجدانـــه ، وصبها فى ألحانه ، وأعماله الإبداعية .

وأسرة حجاب تتكون من شاعرين هما **سيد** ، **وشوقى** ، وضابطين هما **عاطف** ، **وجمال** ، ومهندس هو صلاح ، خمسة أَشِقَّاء شقُّوا طريقـــهم فـــى الحياة تدفعهم تلك القيم السامية التى أخـــذت عـــن والدهـــم العظيـــم ، فيلتحق سيد حجاب بهندسة الإسكندرية ، ثم يتجه إلى هندسة القاهرة ، ويعيش مع أخيه صلاح فى القاهرة ، ويلتقى أهل الفكر والفن ، فيهمل دراسته ، وينظم الشعر بالفصحى ، ثم يكتب بالعامية بعد أن التقى صلاح

جاهين وفؤاد حداد وشعراء العامية المصرية ويتم دراساته الحرة بالمسرح ، ويعمل كباحث بالإدارة النقابية بهيئة المسـوح (١٩٦٤م-١٩٦٥م) ، وفى عام ١٩٦٦م يصدر ديوانه الشهير " صياد وجنيه " .

ويتم اعتقاله مع شاعر العامية عبد الرحمن الأبنودى فى نفس العـلم بلا ذنب جناه سواء أكان هو أم الأبنودى ، ويظل فى المعتقل لمدة سـتة أشهر ، اعتبارا من العاشر من أكتوبر ١٩٦٦م ، ويتم الإفراج عنـــه ، فيكتب لمجلتى الأطفـــال ســمير ، وميكـــى ، وبعـــد النكســة ١٩٦٧م وإجهاض الحلم ، يسافر إلى سويسرا مع زوجته الأولى السويســرية ، ويعود بعد عامين إلى أرض الوطن ليكمل مسيرة الفن والحياة ويجمـــع بين ثقافتى الشرق والغرب [1] .

---

(١) وانظر : إبراهيم حمزة ، عالم سيد حجاب والولوج إلى دنيا البراءة ، إطلالـــة نقدية ، سلسلة إبداعات الدقهلية ، ١٩٩٩م .

ويعمل شاعرنا كرئيس للقســم الأدبــى والفنــى بمجلــة الشــباب (١٩٧٣-١٩٧٤م) وتتعدد كتاباته الإبداعية ، فهو الشاعر الفــارس ، المدجج بالحضور المشع ، والطيوب ، والعطور ، والألوان ، يفتح بابــا لرؤية شعرية جديدة ، بعد أن طرح خلف ظهره مدرسة الزجــل التــى كانت سائدة قبل صلاح جــاهين وفــؤاد حــداد ، ويتجــاوز شــاعرنا المألوف ، والمعاد المكرور ، يشعلنا باللظى ، فــى شــعره ، وأغانيــه ومسرحياته التى تُلقى كالأحلام رحلها فى أبداننا ، منــها علــى ســبيل المثال : **حدث فى أكتوبر ، أبو علــى ، نرجــس ، دنيــا البيــانولا ، الــواد سـيد الشغال ، شباب امرأة ، البحر بيضحك ليه ؟ ، أولاد ريا وسكينة .**

وفى كتاباته المسرحية السابقة يظهر لنا نبض الجماهير ، وحــب الوطن ، وعشق الأرض ، وفى عام ١٩٧٠م يصدر له كتــاب " **مصـرى جديد** " فهو أديب من سلالة خصبة ، لــه فطــرة شــاعرة مغــايرة ، وكلمات صادقة تتدفق كالرياح ويكتب شاعرنا الأغانى التى تعد للأفــلام السينمائية ومنها : **البداية ، لا تسألنى من أنا ، الأراجوز ، المرشد .**

وفى أغانيه يدخل بنا إلى عالم مرئــى محســوس بكــل ألوانــه ، وظلاله ، وطيوفه ، وملوحة دموعه ، وخشوعه ، وهيبته وســطوته ، ويبدع الأشعار الخاصة بالمسلسلات التلفازية ، ومنها :

الفنان والهندسة ، بابا عبده ، الأيــام ، وقــال البحــر ، العمــلاق ، أديــب ، عصفور النار ، مبروك جالك ولد ، ليالى الحلمية " [1] .

---

(١) وانظر : أعلام الدقهلية ، محافظة الدقهلية ، ١٩٩٧م ، ص ٧٤ "

ويعد شاعرنا عدداً من الأوبريتات والأغانى للأطفال وهى تجربة شاقة لكن حبه للطفل جعله يتجشم عناء الكتابة له والدخول بالطفل إلى عالم الحلم الأسطورى ، ويتحرك " بندول " الزمن ، ونقطع هضبة الوقت معه ، ونفهم الحاضر من حيث صلته بأصوله الأقدم .

تطالعنا أشعار سيد حجاب ، فتضعنا أمام لوحة فنية ، يبوح زيتها بالإبداع ، ووهج الفن ، وحرقة المعاناة ، فنحلق فى المطلق ، ونعيش جدلية الصحو والمطر ، فنحن أمام مبدع يهتك الستر الذى حيرنا ، يتنسك للفن ويتعبد فى محرابه ، ويمارس طقوسه وشعائره ، يعزف أشواق الكون فى الآذان والقلوب ، وينشر موسيقاه فى فضاء تشكيلى كثيف [1] .

---

(١) انظر : ديوان : " نصف الطريق " و" فى العتمة " و" أصوات " تلك الدواوين التى تضمها الأعمال الكاملة فيما تضم والتى نشرتها دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع عام ١٩٨٧م " .

وشاعرنا لا يمل ولا يكل من رحلة البحث عن معنى أفضل لوطن اليوم ، وطريق أخصب لوطن الغد ، ولهذا نراه يهتف :

" **عيونك القبطية ـ بيعلمونى الحب ، والسماحة ، والخطيه ، حسيت بروحى ، بتغنى للحرية** " .

ويمضى سيد حجاب بنا ، يسبح فى عالم متواصل الوشائج ، ويتحول الصوت إلى صراخ :

(**تتوحد ، يصرخ فى حشانا مولود عريان ، عريان على صدر الأرض الأم العريانه ، أرض الإنسان**) .

يتوحد شاعرنا مع الأرض فى ومضات تحمل إضاءات فكرية تثير التأمل والعاطفة معا ، حتى يتنامى وجودنا ، فهذا المولود العريان لا يجد لقمة العيش :

(**أنا مش نبى ، لكنى دقتك يا عذاب الأنبياء ، فى عيون صبى ، لمعتها مقتوله بسوء التغذيه**) .

وسيد حجاب يعرج على القيم الاجتماعية والأخلاقية ، ويتناول الموروث الحضارى و (**عيونك القبطية**) تحملنا إلى الحضارة القبطية المصرية القديمة التى كتبت بحروف يونانية وأضيف إليها سبعة حروف من الديموطيقية (**لغة الشعب**) وهى : (**شاى ، فاى ، خاى ، هورى ، جنجا ، تشيما ، تى**) ، وقد قام عالم مصرى من مدرسة الإسكندرية بهذا العمل ، واسمه " **بنتينوس** " ليجعل القراءة والكتابة

أمرا سهلا على الشعب ، واستعان بالأبجدية اليونانية حين كانت اليونانية هى اللغة العالمية الأولى فى القرن الثانى قبل الميلاد ، ومازال المصريون يتحدثون بكلمات عامية من أصل قبطى مصرى قديم حتى الآن ، ومنها : " قيراط ، واحة ، أردب ، برج ، كانى ومانى (عسل وسمن) ، بولاق (الزاوية) ، منقباد (مكان الكؤوس) ، أبو تيج مخزن ، شبراخيت (عزبة بحرى) ، ديروط (الروضة) ، دمنهور (بلد هور : حورس) .

ومن أسماء الأدوات : مصطبة ، ماجور ، حلق ، كنبة ، كرسى ، سلة ، شونة (مخزن) ، زير ، شنطة ، صندل ، طباشير ، فوطة ، طبلية ، ومن أجزاء الجسم : شالوت (قدم) ، شوشه (شعر يتقدم الرأس) ، قفا (مؤخرة العنق) ، ومن كلمات الأطفال . ننوس ، نونو ، كمان .

إنها حضارة توغل فى أعماقنا ، وسيد حجاب يعمل دائما على ترويض الواقع واللغة ونتوقف أمام هذا الرأى لنوضح أن هناك مئات الأدلة على استقلال الشعب المصرى ، واختلافه عن قبائل العرب (١)

فلم تفلح الهجرات الحديثة ، ولا المطبوعات السريعة فى مزج الشعبين ، فالمصريون اليوم على حد تعبير الأستاذ أحمد فخرى صاحب كتاب " مصر الفرعونية " :

---

(١) سعد القرش ، عن الفرعونية والعروبة وأشياء أخرى مخيفة ، مجلة القاهرة ، نوفمبر ، ١٩٩٣م ، ص ٢٧٧ .

" وإن اختلفت لغتهم وديانتهم عن لغة وديانة أجدادهم الذين عاشوا فى أيام الفراعنة ، أووفدت عليهم شعوب أخرى امتزجت بهم ، وتمصرت ، وأصبحت جزءاً من سكان البلاد ، ما زالوا يعيشون حيث عاش أجدادهم ، ومازالت تجرى فى دمائهم دماء الأقدمين ....

والآن أصبحت مصر أكثر عروبة من العرب أنفسهم ، وكما لجأ إليها الأنبياء : إبراهيم ، يوسف ، عيسى مع خروج موسى - بصرف النظر عن لغتهم فما زال العرب يلوذون بنا ، والذى يستقر بمصر يذوب فيها ، وبعد جيل أوجيلين يصير نسله مصريا ، وليس ذنبنا كمقولة سعد القرش - أننا لم نكن عربا منذ فجر التاريخ ، وإنما يكفينا فخراً أننا ما زلنا محتفظين بخصوصياتنا - على كافة المستويات - فى الوقت الذى آمنا فيه بالعروبة وأصبحنا أحرص عليها من أهلها ومدعيها " .

المصرى عند سيد حجاب لا ينقطع عن جذوره الضاربة فى : " **الأرض الأم العريانة ، أرض الإنسان** " وقصائده يمكن أن تنهض كمقياس لغزارة الفيض الشعورى عنده .

كما أن الشعر عند كثير من النقاد يرافق جميع وجوه التفكير ، فالشاعر قد يطرق باب الفلسفة ، ولا ينحط عن الشعر ، فيستطيع مناقشة فكرة فلسفية ، ويلتزم فى مناقشته لها بالمزاج الفنى .

وأن يعبر عن نفسه التعبير الذى يظهر فيه عناصر الجمال المختلفة ، ومقاييس الأدب المتعارف عليها وأن يحصل على التأثير النفسانى المنشود ، ولقد طرق الشاعر العالمى " **فرجيل** " الزراعة فى شعره الجورجيات ، ولقد أراد الشاعر أن يحمل الرومانيين على تعشق الأرض كما أمره بذلك" **أغسطس**".

وقد قيل فى نقد هذه القصيدة إنـــها حملـــت مـــن رائـــع الوصـــف وموسيقا الألفاظ ، ورقة الجنان ما جعلها من الروائع الشعرية الخـــالدة ، كما يستطيع الشاعر أن يتعرض للتاريخ والأحداث ، بـــل إن بعـــض الشعراء هم تاريخ عصورهم ملحنة [1].

---

(١) انظر : إلياس أبو شبكة ، فرجيل الجورجيات ، مقدمـــة ديـــوان ، أغـــانى الفردوس ، وانظر أيضا د. محمد زكريا العشماوى ، النابغة الذبيانى ، دار الشروق ، ١٩٩٤م ، ص ١٧٩ .

صراخ وسكوت

يعود سيد حجاب إلى الصراخ إذا حزبه أمر ونابه واشتد عليه :

" ح اصرخ لو فيها موت ، قدام عمود الملح والكبريت ، وبرزخ السكوت " .

وتتوالى أحزانه التى تنقلنا إلى قصائد " **بايرون** " ومرثيته التى يقول فيها :

" أنت يا من اختطفت فى زهرة جمالك ، لن يضغط قبر ثقيل عليك ، ولكن فوق أرضك الخضراء ستزدهر الورود ، وتهتز أشجار الصنوبر الوحيدة فى حزن عميق ، اذهبوا فنحن نعرف أن دموعكم جوفاء ، وأن الموت لا يهتم ، أو يسمع بالحزن ، فهل سيعلمنا ذلك ألا نشكو ؟ أو يجعل أى نائحة تقلل من بكائها ، وأنت الذى تطلب منى أن أنسى ، إن نظراتك شاحبة ، وعيونك مليئة بالدمع "

وتتعادل أشعار " **بايرون** " مع أشعار سيد حجاب فى الحزن ويفوقه حجاب ، بصفاء المشاعر ، والقدرة على ملامسة الأحاسيس المختمرة .

وبرزخ الموت هو برزخ السكوت ، والبرزخ لغة : الحاجز بين شيئين ، وما بين الموت ، والبعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ ، وفى التنزيل العزيز " **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** " [1] ، **و" بينهما برزخ لا يبغيان "** [2] .

---

(١) سورة المؤمنون الآية : ١٠٠.

(٢) وفى سورة الرحمن الآية : ٢٠ .

والبرزخ فى علم الجغرافيا : قطعة أرض ضيقة ، محصـورة بين بحرين ، موصلة بين أرضين " وانظر المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية " . وبرزخ السكوت هنا برزخ قاتل ، فيه تتحول الإيجابيات إلى سلبيات ، وبين الصراخ والسكوت طباق ، والطباق هو أن تأتى بكلمة ثم تأتى بمضادها فى المعنى فيشتد رسوخها فى النفس ، والمطابقة الفنية تقتضيها الفكرة هنا ، ولم تجلب لمجرد الصنعة ، وجمال الطباق نابع من أن عرض المتضادات فى نسق مؤتلف يثير الإنتباه إلى الفكرة ؛ لأن الأضداد يُظهر بعضها بعضا فتزداد الفكرة وضوحا ، ومن الواضح والحال كذلك أننا نقف أمام شاعر يمتلك خصوبة الإبداع ، ونصوصه قادرة على العطاء ، والولوج إلى عالم القيم ، والمثل والمبادئ الشريفة النظيفة ، بها تتفتح براعم القلوب ، وتغرد عصافير الحرية ، وتولد لحظات صدق شفيفة عفيفة ، فالقصيدة تعيد خلق الواقع من جديد ليتطهر هذا الواقع من أدرانه ويعود إلى براءة الخلق وبكارة الحياة ، والقصيدة لدى سيد حجاب شحنة فنية تمتلك جوانحنا وتضئ جوانب الكون .

صياد وجنية [1]

للبحر أساطيره ، ورموزه ، وأستاذنا الدكتـــور **زكى محمد إسماعيل** أستاذ الأنثروبولوجيا وعلـم الاجتمـاع المسـاعد فـى كليـة العلـوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وصاحب كتـــاب " **الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامى** " يذكر فى مؤلفـــه المذكـور أن علمـاء الأنثروبولوجيا الأوائل فى القرن التاسع عشر كـــانوا يتداولـون فـى دراساتهم نفس ما يقوم علماء الفولكلور بدراسته الآن ، ومن أهم هذه الدراسات دراسة سيرجيمس فريزر الشهير فى كتابه : " **الغصن الذهبى** " حيث يضيف فريز لكتابه فى العنوان : " **دراسة فى السحر والدين** " ، وهـو يقصد بالدين معتقدات المجتمع البدائى من خلال أســاطيره وفولكلـوره فذكر السحر والطوطم ، والتابو ، وأرواح الموتى وما إليها من خـلال عرضه للأساطير العديدة . ومن الشعراء الذين تناولوا أساطير البحـــر شاعرنا سيد حجاب صاحب ديوان : " **صياد وجنية** " [2] ، والذى قال عنه الشاعر العراقى الكبير عبد الوهـــاب البيـاتى فـى القـاهرة بتـاريخ ١٩٦٦/٥/٧م :

" إنه من شعراء الطليعة القلائل الذين كتبوا بلغة الشعب البسـيطة ، واستطاعوا أن يخترقوا جدار الصوت لينفـذوا إلـى جوهـر الأشـياء الصغيرة ، المتلألئة ، المتفجرة ، النامية ، واســتطاعوا بكـل روعـة

---

(١) نشر هذا الجزء من الدراسة فى مجلة الغدير الكويتية ، العدد الثالث ، فـبراير ١٩٩٠م .

(٢) الصادر عن دار ابن عروس للنشر ، مطبعة الدار المصرية .

استخدام لغة الحديث اليومى لتحريك الأشواق إلى عالم جديد متخطين عقبات الرموز واللغة ، حتى كأنك تسمعها لأول مرة ، إن الطبيعة الصامتة والحزن والكلمات تستحيل فى قصائد هذا الشاعر الموهوب إلى دلالات حية تنبض بحرارة الخلق والبكارة " .

والشعر الصادق هو الابن الشرعى للوعى والإدراك ، ومسقط رأس الإنسان هو الوطن الأول له ، وبلد الشاعر فى ديوانه رحم يطل منه على الكون :

" **بلدنا ، بحيرة ومدنه ، وآلام عددنا ، وأحلام تزيد عن عددنا** "

ويظهر الوطن كالبدر فى سماء الشعر ، يظلل الشداة والهواة فى مواكب الضياء ، والبهاء ، والسناء ، والرجاء ، يوقظ السؤال فيتعلق بالغصن الرطيب للحلم فى لجة الخطر .

وفى قصيدة " **صياد وجنية** " يتناول الشاعر أسطورة بحرية بأسلوب مرن يحتمل الزيادة ، وليس هناك ما يمنع من توسيع مدلولها الأدبى بحيث تشمل الوطن والمعانى القريبة منه فقد أوتى شاعرنا الإلمام الوافى بأسرار الصناعة الشعرية وتصوير النموذج الإنسانى بنقله من عالم التجريد إلى عالم الحياة .

حكاية البحر

نملأ العيون من قصيدة : " صياد وجنية " فتترك فينا شيئا غامضـــا ، فيه الشوق ، والتوق إلى معرفة ما يتخفـــى وراء القصيــدة ، يــهتف الشاعر :

" مين دى اللى ماشيه ع الشطوط بتنــوح ؟ مـين دى يـا رجالــه ؟ أم الشـعور محلولة لكعوبها ، أم القدم حافيه وعماله ، ينقل تراب الشط ديل توبها ، مــين دى ؟ أهيه قربت ... أها ... أيوه عرفتك آه ... يا جنيه "

وشاعرنا كما نرى طائر محلق فى دنيا الحلم ، يضع النقــاط علــى الأحرف الصامتة لتنطق ، يهتف :

" صياد أنا والبحر يعرفنى ، مهما يصرخ لم يخوفنى ، عارفــه ، دا ابويـا ، وخطوته فى الخير ، ومرجوعه ليـا ... بـإيد جنيــه ، ويطبطب علـى قلوعـى مرجوع أبوى ليا ، وأنا لأبا مرجوعى ، صياد أنا والبحر فـى ضلوعـى ، والموجـه ناى فى الليل يونستى ، وناس ياناى المـوج ، يـا أناتــه ، سمعنـى عـن بحـرى ، واحكى فـ حكاياته " .

ويأتى تعبير الشاعر الموقع بعفوية وطبيعية لينقـــل فكــرا عميــق الأسس ، بعيد الركائز بلا إنكار ، بحيث لا يمكن تجاوزه والتخلى عنه ، لأنه متمرس بالأنغام الشعرية : " الشاب حب ، وخاوى جنيه ، طرح الشـبك بالليل طلعت له / بعيون ملاليه ، بجفون هلاليــه ، بكفـوف محنيــه ، رقصت على فلوكته وغنت له ، دندن بمجدافه على الميه ، شاف النجوم لعنيه مطاطيه"

وفى نغم طيع جلى رحب ، وفى تعبير نضجت إمكاناتـــه الفكريـــة ، واختمرت ، وفرضت نفسها ، لأنها وليدة الفطرة والنزوع العـــاطفى ، والخيال الخصب يكمل القصيدة الأسطورة :

" فى البحر مدت يد وادت له ، بالقلب ودت له ، بالشفه مدت له ، م الخير بإيدها الحلوة وادت له ، شدت له من خير القرار ياما ، لكن يا عين الدنيا دوامه ، متدومش لكن دايره دوامه ، حساده عرفوا قصته تبعوه ، طلعوا له نص الليل عفاريت ليل ، زى السواحليه هدومهم سود ، سودا هدومهم والقلوب سودا ، وعيون بنادقهم كما قلب الحسود سودا ، صابوه عداه ، خرم الرصاص ضهره ، عين القمر بالغيمه مسدوده ، جنيته فى حضنه ، وجروحه فى ضهره ، الدم آهه حمرا ممدوده ، الدم سال ، الشاب عمره سال ، جنيته تقفل جروحه بحبها بالشال ، وجروحه فى ضهره ، بتشر عمر لحد ما طول العذاب قهره ، وف نن عينه كلمه ما بتنقال : (عشانكم انتم يا حبايبى أموت ...) " .
(وبقيت حروف الكلمه يتقطموا)

" فالصياد يسعى لكسب لقمة العيش ، والأعداء قتلوه ، وهو يمـــوت فداء للقادمين من بعده ، والجنية (إيزيس) الوطـــن الـــذى يضمـــه ، والإيحاء واسع المدى ، والصور الفنية معبرة ، والإيقـــاع الموســـيقى متين رصين ، يبرر وجوده واستمراره ، والإبداع يدخـــل فينـــا جاريـــا مجرى الدم فى العروق ، يتوحد بنا ، يصل بين الشعرية والموت فـــى كيان عبقرى شامخ وذكاء لماح .

الشاعر هنا تتسرب إليه الحقائق العليا فيعـــزف علـــى أوتارهـــا ، استمع إليه ليكمل ما بدأه :

" جنيته فرشت شعور طوال ع الجته ، واترجت إله البحر ، صلت له علشان تموت مثله ، علشان يعود الشاب للدنيا ، (علشانكم أنتم يا حبـايبى أمـوت) ، جنية البحر الغريق صلت ، سنه ولا كلت ، والجته متغطيه بشعورها وبدموعها ، وصفار الموت ، سنه وآخرتها ، خدته بلادها ، ونيمت جسده فوق مرتبتها ، فـوق مخدتها ، وخدت دراعه لأهله فى بلده ، قالت لهـم : حطـوا دراع الشـاب فـوق الباب ، لاجل ان نادوا له يعملوا له حساب " .

وتظهر صلـــة الشـــاعر بالأســـاطير اليونانيـــة أيضـــا فـــيرد إلـــه البحر Posidoh لتظهر عالمية الفكرة والأسطورة ، أســـطورة الوطـــن فمن أجله يموت العاملون ويحيا أصحاب الغدر :

" من يومها والجنيـــه ماشـيه ع الشـطوط بتنـوح ، ماشـيه بشـعور محلولـه لكعوبها ، ماشيه بقدم حافيه وعماله ، ينقل تراب الشط ديـل توبـها ، تسـمع حكاوى البحر وتشوفها ، وتروح تقولها ليلاتى لحبيبـــها ، وحبيبـها نـايم فـى سريرها قتيل ، وسمعتهم بيقولوا فى بلدنا : دى مخلفه منه رجاله بعددنا " .

وتاريخ القصيدة عام ١٩٦١م تشعر بمطابقة الأســـطورة لمقـــاطع اللفظ ، ومقاطع النغم ، وهى مجاهدة دائمة ودائبة فى المعانـــاة التـــى تشبعت بالأنغام ، تحكى حكاية البحر فى مران متواصل ، مما حقق لـــها مبررات الاستمرار ، فالبحر والوطن فى الشعر العامى خليتان من خلايا النفس الشاعرة وكثير من الشعراء قتل بعضهم نفســـه وأحرقـــها فـــى

نيران الإبداع كالفراشات مما أدى إلى هلاك الكثرة ، ووصول القلـــــة ، وهكذا كان حديث البحر موحيا للشاعر والوطن ونـــبرة الحـــزن التـــى تسيطر على العمل تلقى ظلالا من الكآبة على الجـــو العـــام للمكـــان ، الملجأ والملاذ مما لا يمكن تجنبه أو تجاهله ، والحزن هــــهنا يســـاوى الموت ويستدعى حزن إيزيس على أوزوريس فقد بكت عليه بكاء حارا فكانت دموعها هى فيضان النيل ،وهى قصـــــة حـــزن نبيـــل ، ووفـــاء جميل ، فقد قطعت إيزيس مسافات كبيرة وجابت البلاد من أقصاها إلـــى أقصاها بحثا عن أشلاء زوجها ، ثم جمعتها ، وعاد إليها أوزوريـــس ، والإحساس بالغربة المكانية لا يقل خطـــرا عـــن الإحســـاس بالغربـــة الزمانية وذلك مما يستدعى مقولة وردث ورث :

" الشاعر هو الإنسان الذى يحمـل بساطة الطفولـة ، إلى قـوة الرجولـة ، وهـو الذى يتأمل الأشياء جميعها بدهشة الطفل ، ونضارته ، بـروح لا تطمسها العـادة ولا تغلها "

ولا يخفى على القراء نظرة الشـــــاعر الفلســـفية للحيـــاة والواقـــع الإنسانى ، ولهذا فشاعرنا يشكل رؤية ، ولا يعكس محاكـــاة مباشـــرة للواقع فالشعر هو الأكثر براءة حين يضع الدنيا فى كفيه ويوغل بنـــــا فى أوردة الحلم ، ذلك لأن الدول التى تضل مقـــاييس آدابـــها ، تضـــل مقاييس حياتها كمقولة العقاد .

" صياد وجنية " لابد أن تحملنا إلى أسطورة أوزوريس [1] الذى كـان يعلم المصريين الحق والعدل ، والقراءة والكتابة ، ولقد قتله الظلاميون بقيادة الشرير " ست " " سودا هدومهم والقلوب سـودا ، وعيـون بنادقـهم كما قلب الحسود سودا " ، فأخذت إيزيس حبيبته " وهى رمز لمصر " تبكيه حتـى نهض مرة أخرى تعبيرا عن قيامة مصر والعدل والحق والعلم .

والشعر هنا إنسانى خالد ، ومحور الأدب هـو الإنسـان ، كمـا أن موضوع الشعر شئ واسع يشمل القوى الإلهية ، والطبيعة البشـرية ، ومظاهر الطبيعة المادية ، ونحن ليس بمقدورنا إلزام الشاعر بموضـوع محدد لا يخرج عنه ما دامت عناصره الفنية قد توافرت لديه ، ومـا دام لم يخرج عن هدفه [2] .

وأسطورة أوزوريس تتحدث عن إله الشر " ست " الذى قتل أخاه إلـه الخصب " أوزوريس " بأن حبسه فى صندوق وألقى به فى النيل ، وظـل يسير إلى البحر الأبيض المتوسط ، وأدخل الصندوق داخل جذع شـجرة فى " أبيدوس " وقد قطع الجذع ليكون عموداً فى المعبد الذى وصلتـه إيزيس ، وحملت من أوزوريس " وهـو العمـود " ، وأنجبـت حـورس

(١) تناولها من قبل الشاعر إبراهيم رضوان فى قصائده فانظرها فى مواضعها .

(٢) كمقولة الدكتور محمد زكى العشماوى فى كتابه النابغة الذبيانى .

لتربيه فى الدلتا بين البردى حتى يشب عن الطـــوق ويحـــارب عمـــه الشرير "ست"، ويتولى ملك البلاد .

و نعرف أن حورس Horusa هى الترجمة اللاتينية [1] لكلمة Horosa اليونانية ، وكلمة Hor حور المصرية . كان إلها شمسيا يضارع أبولو رب الشمس والتنبؤ والشعر والموســيقا ، ورب الشــفاء والطـــهارة ، ومؤسس المدن والمستعمرات ، وإله الشباب الفتى عند اليونان . وهـــو يمثل بصقر أو بإله برأس صقر ، وتحت كلمة " حور " التى يبدو أنــــها تعنى فى اللغة المصرية " سماء " أشار المصريون إلـــى الصقـــر الـــذى رأوه محلقا فوق رؤوسهم ، وظن كثيرون منهم أن السماء ليست سوى صقرا مقدسا وأن عينيه هما الشمس والقمر ولابد أن عباد هذا الطـــائر كانوا كثيرين وأقوياء ، لأنه كان يحمل " كطوطم " فـــوق أعمـــدة قبـــل تاريخية ، وقد عد منذ أقدم العصور الكائن الإلهى المبجـــل ، والعلامـــة الهيروغليفية المنقوشة المقدسة التى تمثل فكرة أن الإله كان صقرا فى عليائه .

وحينما استقر أتباع الصقر كان " حورس " يعبده ، ولكن مع مـــرور الزمن ، وفى " الأحرام " المقدسة المختلفة التى كـــانت مخصصـــة لـــه تباين دوره واختلفت صفاته ، ومن ثم فإننـــا نـــرى فـــى " البـانتيون " " مجمع الآلهة " المصرى حوالى عشرين " حورسا " ومن المهم أن نمـــيز منها Haroerisa " حورس الأكبر " وصقورا أخرى ذات طابع شمسى مثل Horbehdseitea " حور بجدتى " ، وحورس ادفو – عن حـــورس بـــن

---

(١) حسن حسين شكرى ، معجم لاروس (مترجم) .

إيزيس فى الأسطورة الأوزيرية أى Harsiesisa " حارسيس " الطفل المنتقم لأبيه .

لم يدلف شاعرنا إلى الأسطورة بشكل مباشر كما فعل لويس عوض فى نص " محاكمة إيزيس " الذى ذكر أنها حملت بدون اتصال مباشر ، فهى إذن عذراء ، ومولودها حوريس تكلم وهو فى المهد صبيا قائلا :

" أنا كل ما كان و كل ما هو كائن ، وكل ما سيكون ، أنا الحقيقة " .

ولقد صور لويس عوض المحكمة التى ستحاكم إيزيس بتهمة الكذب لأنها حملت من أوزوريس ، ويرأسها رع إله الشمس ، والعضوان هما الإلهان : آمون ، وتحوت [1] .

ونص لويس عوض قدم على أنه (**مسرواية**) ، والقضية التى يطرحها هى إثبات أن إيزيس رغم حملها ما زالت عذراء ، وأنها تمصرت واصطبغت بصبغة مصرية داخل مصر قديما ، وينتهى نص لويس عوض نهاية تقترب من نهاية صياد وجنيه ، فقد قال الإله تحوت قرب خاتمة عمل لويس عوض : لقد ظهر المخلص وتحققت النبوءة ، لقد جاء فى الكتاب الجديد :

" **عندما يأتى آخر الزمان ينهض المخلص فينتقم لأبيه من قاتله ويخلص مصر من مكره وشروره** " .

أما نص سيد حجاب فينتهى بقوله : " **وسمعتهم بيقولوا فى بلدنا دى مخلفه منه رجاله بعددنا** " . ١٩٦٦م .

---

(١) انظر : مجاهد عبد المنعم مجاهد : إشكاليات عشر حول محاكمة إيزيس ، مجلة القاهرة ، نوفمبر ١٩٩٢م ، ص ١٣٤ .

ونص لويس عوض يرجع إلى عام ١٩٤٧م وأودعه لــدى النــاقد الدكتور الراحل غالى شكرى وأوصاه ألا ينشره إلا بعــد وفاتــه لأنــه محاولة للتجريب ، أما سيد حجاب فكان ديوانه فى بداية أعماله وفـــى حياته التى ندعو له بطولها وامتدادها ، فالكاتب الذى يعى جدل المرحلة التاريخية يخلق صورا حية هى نحت فى مادة متمردة ، وجموح [1] .

وهى صور بالغة الصعوبة بطبيعة الحال ، ولكنها مع ذلك حقيقيـــة وواقعية ، لأنها تصور جذوة الحياة التى لم تخمد نارها بعد ، وتصـــور أيضا الصراع ضد الشكل النهائى للعالم ، وصدقها يكمن فى حقيقــة أن ما ترسمه بشكل مبالغ فيه إلى حد كبير صحيح من الناحية الجوهريـــة فى مضمونه الإجتماعى .

ولقد شيد سيد حجاب البناء الشعرى العامى بدربة ومهارة ، بينمـــا شيد لويس عوض بمهارة أيضا وباتساق إنشائى بناء أدبيا مركبا مـــن عنصرين وشكلين أدبيين لكل منهما مفرداته الجمالية ولغته وآلياته فــى الخطاب الأدبى هما : الرواية والدراما ، اختلطــا ، وذابــا فــى إهــاب وبوتقة النسخ الشعرى الكلاسيكى ، الفخم ، المثقل بــالصور والمجــاز والرموز ، غير أن اللغة كانت قريبة من الفصحى المخففــة الســاخرة ذات التراكيب العامية .

وسيد حجاب فى " صياد وجنية " ابــن المــاء " المطريــة " ، " ابــن البحيرة " ابن العالم الأزهرى الشاعر .

---

(١) انظر : عبد الرحمن أبو عوف فى موضوع بعنوان : نبوءة لويس عـــوض فى محاكمة إيزيس ، مجلة القاهرة ، نوفمبر ١٩٩٢ ، ص ١٤٢ .

والثابت أن لويس عوض أقام نصه التجريبي على دراسات موسعة للمسرح المصرى القديم ، وقضية وماهية وجوده ، واختفائه - أى المسرح - ، لعدم تخطيه جدران المعابد ، وإغراقه فى أسرار الدين ، كذلك درس الميثولوجيا المصرية والأساطير وأسطورة أوزوريس وإيزيس . ونظرة سيد حجاب فى عمله بصياد وجنيه ينظرها نظرة مستقبلية شأنه شأن لويس عوض ، الذى اتسم عمله بشمول الرؤية ، وصدق وعمق ، وتجاوز الرؤية ومستقبليتها بحيث نخاطب المستقبل ونفرأ حاضرنا الآن بكل ما فيه من تدن ، وتبعية ومهادنة ، وانهيار[1].

وعرض سيد حجاب لصياد وجنية يضعنا فى مواجهة التاريخ لمصر القديمة ويصلها بمصر الصيادين المعاصرين فى المطرية ويلبس أبطاله الصورة البشرية باستثناء الجنية فلها صفة غير بشرية ، ولنقل إنها نارية ، والاتصال بينها وبين الصياد ينقلنا مرة ثانية إلى الأسطورة وجوها ، فى مصر القديمة حيث تعيش أسرة " من الآلهة " كلهم إخوة وأخوات لكن أسرة الصياد أسرة " بشرية " ، وكان أفراد أسرة الآلهة هم : *الإله ست ، والإلهة تفتيس ، والإله أوزوريس ، والإلهة إيزيس .*

أما ست وتفتيس فقد ولدا داخل الزمن وأما أوزوريس وإيزيس فقد ولدا خارج الزمن ، وقد نشب الصراع بين ست إله الجدب والعقم والصحراء والشر ، وأوزوريس إله الزرع والضرع ، بذرة الحياة فى كل حى ، تمريده السخية على الوادى الأمين ، فتنتشر فيه الخضرة كل عام ، ويملأ حبه الكائنات فتهتز بالأشواق ، وتملأ الدنيا بالخلق الخصيب .

---

(١) بمقولة عبد الرحمن أبو عوف ، بالمرجع السابق .

وهذا ما نراه عند سيد حجاب :

" **فى البحر مدت يد وادت له ، بالقلب ودت له ، بالشفة مدت له ، م الخير بإيدها الحلوه وادت له ، شدت له من خير القرار ياما** " .

ولقد دبر" **ست** " مكيدة الصندوق الشهير الذى سجن فيه أوزوريس ، وألقى به فى النهر ، وطفا الصندوق حتى بلغ البحر الأبيض المتوسط ، وحملته الأمواج كما قدمنا إلى بلدة يبلوس " لبنان " ، وفى يبلوس نمت على الشاطئ شجرة أرز كبيرة احتوت الصندوق ، والصندوق لدينا هو مركب الصياد ، ولقد رأت ملكة يبلوس الجميلة الشجرة فأعجبتها وهى " **عشتروت** " فأمرت بقطع الشجرة " **وخدت دراعه لأهله فى بلده** " **وأمرت بأن يقوم منها عمود ضخم وسط قصرها** : "**حطوا دراع الشاب فوق الباب ، لاجل ان نادوله يعملوا له حساب** " ، وعندما استدلت إيزيس على موقع أوزوريس ، مضت إليه ، واتخذت صورة النسر وحومت حول العمود لتطوف بجثة زوجها أوزيريس " والجته متغطيه بشعورها وبدموعها وصفار الموت " وحدثت المعجزة فقد حملت إيزيس " بالروح القدس " دون أن يمسها زوج ، وعادت بزوجها فى " **زورق** " : " **رقصت على فلوكته وغنت له ، دندن بمجدافه على الميّه** " وتحمل الأمواج زورقهما : هى تنبض بالحياة وهو فى صفرة الموت جثة هامدة ، فاستلقت عليه إيزيس ، ونفخت فيه من أنفاسها فردت إليه أنفاسه " **والجته متغطية بشعورها ، وبدموعها وصفار الموت** " ويمضى التشابه بين سياق عمل لويس عوض وسياق سيد حجاب ، وفى مصر اختلت إيزيس بنفسها فى مكان بعيد بين أوراق البردى التى كست مستنقعات الدلتا ، وهناك وضعت الإله الابن ، المخلص حورس .

ولقد خشى إله الشر " ست " هــذا الثــالوث المقــدس " الــزوج ، والزوجة والابن " وعثر أخيرا على أوزوريس وفتك به مـــن جديــد ، ومزق جسده وقطعه أربع عشرة قطعة ، وقذف بكل قطعة منه فى إقليم من أقاليم مصر ، وجدد جسده الممزق تربة الحيـــاة فـــى كــل إقليــم " وسمعتهم بيقولوا فى بلدنا ... دى مخلفه منه رجاله بعددنا " .

أما إيزيس فى عمل لويس عوض فقد اتهمها الإله الشـــرير"ســت بخيانة الزوج ، وزعم أنها حملت حوريس سفاحا ، ودعا الآلهـــة إلـــى محاكمتها [1] .

وأبطال سيد حجاب ببشريتهم أصدق من أبطال د. لويس عوض لأن الأبطال لديه ليسو من البشر ، والأبطال الآلهة مشغولون عنــد لويــس عوض بخصوصياتهم لا بالقضايا العامة وهم بهذا لا يصلحون كأبطــال تاريخيين دراميين ، وفى هذا الصدد ينبهنا المفكر المجرى جورج لوكاتش فى كتابه " الرواية التاريخية " إلى أن الفــن " لكى يكـون فنـا يجب ألا يبـدو نسبيا أبدا " وإذا كان الفنان يرسم أبطاله متفردين فإنه كما يقول جــورج لوكاتش أيضا " مامن صدق طبيعى فى المظاهر الفردية للحياة أو حــذق ، من حيث الشكل فى التركيب ، أو الآثار الفردية ، يســتطيع أن يحــل مكان هذا الشعور بكليــة الحيــاة ... " إن عــدة منظريــن للتراجيديــا الكلاسيكية يعتبرون أن شــخصيات التــاريخ العظيمــة أو شــخصيات الأساطير ، هى وحدها الملائمة لتكون أبطـــال المســرحية ، ولكــن لا الحياة ، ولا المسرحية باعتبارها صورتها الفنية لها اهتمـــام بـــالطرح

---

(١) بتعبير عبد الرحمن أبى عوف

الشكلى التزيينى وإنما بتركيز القوى الموضوعى المتعلق بالفكرة الرَّئيسَةِ ، بتكثيفٍ شخصى فعليّ لقوى اجتماعية متضادة " . ولكن من أين يأتى التصادم الاجتماعى وحياة الأبطال الآلهة مرسومة فى تجريد لدى لويس عوض ؟ ولا تتغير ، ولا تلقى بأية ظلال على حياة البشر كما فعل سيد حجاب .

إننا ننظر هنا للعمل من خلال نفعه لا من خلال بريقه ، حتى لا نحدق فى الفراغ ، ولقد حلق لويس عوض بأجنحة من شمع وأخشى أن تذوّبها الشمس ، ويؤرقنا الوقوف فى شرفة الكلمة ، لكن سيد حجاب يبقى فينا بصياده ، وجنيته ، وخرير موجه ، وأصدائه ، وتدافع شعره ومائه [1] .

---

(١) للمؤلف دراسة مقارنة بين الشاعر سيد حجاب والشاعر الإسبانى فدريكو جارسيا لوركا .

صفوت العسال

(٢٥/٥/١٩٤١م)

البناء الفنى للصورة الادبية
فى شعر صفوت العسال [1]
(فارس رومانسى)

الشاعر **صفوت العسال** واحد من أنقى ، وأرقى ، وأعـذب الأصـوات الشعرية فى الدقهلية ، وهو فارس رومانسى ، يقـف فـى الصفـوف المتقدمة للحلم الرومانسى ،وهو ابن الجدب الولود ، والهموم الكونية ، له رؤية شعرية متفردة ، وله موسيقاه الجميلة المبثوثـة فـى أبياتـه الشعرية ، يأسرك بعاطفته الرقيقة ، وإبداعه الوجدانى المنغمـس فـى الحزن الوقور ، يستعمل الحوار والسؤال كوحدة أساسية فى الـتركيب العضوى بشعره ، لأنهما من أبلغ الأبنية التعبيرية عن الأسى والألـم ، وقلق المثالية ، وفلسفة الذات التى تميز إنتاجه الشعرى .

ويظهر ذلك بوضوح فى قصيدته : " **بـاعوا الجماجم والموتـى بأغنيـة** " حيث يغلب على القصيدة الطابع المأساوى ، فيهتف :

هل نستطيع حياة كلها عبث ؟ هل نستطيع وننسى كل ماضينا ؟ [2] .

---

(١) نشرت هذه الدراسة فى مجلة المنصورة أدب وفن ، العدد السـابع ، مـارس ١٩٩٩م .

(٢)ديوانه البقايا ص ٥٧

وهو يفجر طاقات التجدد الكامنة فيه ، ويحلق بين ثنائية الحلم والواقع بأصالة الجوهر ونقائه ، ويعكس حالته النفسية بصدق فينقل لنا صورة من ذاته وقيمه وفلسفته الحياتية .

ونركض خلف قاموسه الشعرى نحاول سبر أغواره ، نبحث عن سر حزنه الدفين ، ونحلق مع مفرداته المشحونة بالإيحاءات والدلالات الفنية التى يختزل بها المساحة البنائية دون أن يخل بحجم تعبيره .

نقف أمام قصائده مبهوتين ، ونقترب منه فإذا بالحلم الذى تراءي له يتوارى فى آفاق سَيَّجَتْ بالصَّدِّ دونه .

وفى قصيدة : " **وسكنت داخل أضلعى** " فى ديوانه " **علمتك الحب** " ، راح العشق يحثه علىالتحرك بجناحين رفرف بهما فى المدى لتقترب المسافة .

وينهى سهد ليله ، وأرقه الطويل ، استمع إليه حين يصرخ :

" **وأنا صنعت الحب فيك تميمة للشوق عطشى ترتوى من أدمعى** "

لقد أهاج الشوق فى الصب شجونه ، وفنونه ، وجنونه ، ومسه من ورع النساك ومض يكشف له سر الحكايا التى اغتالت أحلامه ، تلك الأحلام التى كانت تتزيا بالأمل النابت فى أعماقه ، ولا يستبيح إعلان الشكوى :

" **فأنا رضيت بفرقة ، من غير أن تأتى إلى بدمعة ، وتودعى** " .

احتراق وكتمان

على نحو بارع يمضى صفوت العسال فى تشكيل صوره معتمداً فـــى بناء هذه الصور على التشخيص ، فنراه يشخص المعانى التجريديـــة ، والأحاسيس ، والمشاعر ، والهواجس النفسية ، ومظاهر الطبيعة فـــى صور كائنات حية تظهر فى جل قصائده ، ومنها " أحزان صديق " حيـث يقول :

" نادانى فرجعت إليه ، رجل يحمل كل هموم الدنيا ، تكسو وجهه نبرة حزن وتغطيه " [1] .

وفى قصيدة : " هل تهرب الأوطان ؟ " يشخص مصـــر ويحكـــى لـــها حكاياته ، ويبثها لواعج الشوق [2] .

كما يحدث نفس الشئ فى حديثه للدنيا بقصيدته : " الأصل الكلمة لـو ندرى " [3]حين يهتف :

" يرهقنى حبك ، يؤلمنى ، يجعلنى أشعر باليأس ، أتذكـر يـا دنيـا أنـى ، معصوم من كل الرجس " .

وفى قصيدة : " وماذا بعد غربتنا ؟ " [4] : يشخص الوطن ، ويتحدث معه ، فهو أمومة الدنيا ، وكل حلاوة الأيام ، يأخذه بأحضانـــه فينســـى الشاعر أحزانه .

---

(١)ديوان : علمتك الحب " ص ٨٠

(٢) بالديوان السابق ، ص ٨٢

(٣) بديوانه : " البقايا ص ٣٠

(٤) فى ديوان علمتك الحب ، ص ١٦ .

وصفوت العسال عاشق يلازمه الشوق ليحدو يقينه فى مدارات شـعره التى يجتازها دون أن يـدق علـى أبوابـها ففـى قصيـدة :" قدرهى الأحزان " ، قالت [1] : حب وبعد لنا ، فكيف يتفقان ؟ :

" والحب كما علمنا (الثعالبى) فى : " لباب الآداب " ، أول مراتبه الهـوى ، ثم العلاقة ، وهو الحب اللازم للقلب ، وهو العلق أيضا ، ثم الكلف وهو شـدة الحب ، ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذى اسمه الحب ، ثم الشغف ، وهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، وكذلك اللوعة واللاعـج ، فإن تلـك حرقة الهوى ، وهذا هو الهوى المحرق ، ثم الشغف ، وهو أن يبلغ الحـب شغاف القلب مع لذة يجدها ، ثـم الجـوى وهـو الهـوى البـاطن ، ثـم التيـم وهـو أن يستعبده الحب ، و منه سمى تيم الله ، أى عبد الله ، ومنـه رجـل متيـم ، ثـم التبل وهو أن يسقمه الحب ، ومنه رجل متبول ، ثم التدليه وهو ذهـاب العقـل من الحب والهوى " .

لكن حب صفوت العسال فيه فلسفة وفيه احتراق وكتمان تتجمد فيـه المشاعر ، وفيه حرمان حيث يعز اللقاء ، كما يعز البعد فيزداد التشظى والتفتت ، وجوهر العمل الشعرى هنا ينبع فى الحقيقة من التضاد الـذى يقيمه الشاعر بين حقيقتين متقابلتين .

---

(١) بديوانه : علمتك الحب ، ص ٥٧ .

وشاعرنا يحرص على رصد ذكرياته العاطفية فى قصـــائده ، كمـــا يبنى صوره عن طريق المقابلة بين المواقف المختلفة ، وهـــى صـــور حديثة يختزل فيها شاعرنا لحظات بعينـــها ، ويوشـــى بـــها شـــعره ، والموسيقا الداخلية عنده تتضح من ذلك الانســـجام الصوتـــى الداخلـــى الذى ينبع من التوافق الموسيقى بين الكلمات ودلالتها حينـــا ، أو بيـــن الكلمات بعضها وبعض حينا آخر ، أو قل هذا الانسجام الصوتى الـــذى يحققه أسلوبه الشعرى من خلال النظم وجودة الرصف على نحوما يعبر عنه النقاد من القدماء .

فقارئ **شعر صفوت العسال** يحس هذا الانسجام الموســـيقى ولكنـــه لا يكاد يتبينه، أو قل لا يكاد يقدر على قياسه وضبطه بوسائل العَـــرُوضِ المألوفة ، فهذه الرسائل تتساوى فيها المدات والوقفات الموسيقية على اختلاف زمنها طولا أو قصرا ، وعلى اختلاف نغمها حدة ورهافة علـــى حد تعبير الناقد المعاصر الدكتور **إبراهيم عبد الرحمن** ، وتظهر موسـيقا بحر الوافر صاخبة لدى الشاعر فى قصيدته : " **وتبقى ثورة الشك** " [1].

أثومة قـد رحلت اليـوم عنـــا	**وعصـر الحب مبتئس كئيـــب**
زمـــانك لا يفارقنـــا بحـــق	**بغـير زمـــانك الغـالى نشـيب**

(١) بديوانه " البقايا " ، ص : ١٢٢ .

والبحر الوافر أجزاؤه : مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن فـى الصـدر ، ومثلها فى عجز البيت ، ولكنه لم يجئ تاما أصلا ، بـل لا يسـتعمل إلا مقطوفا ، أو مجزوءا ، وذلك لكثرة حركاتـه ، ووقوعـها فـى محـل الحذف ، وهو آخر الجزء ، ولذلك لم يلتزموا الحـذف المذكـور فـى الكامل ، وإن ساواه فى الحركات ، وآثروا فى التغيير القطـف لبقـاء البحروبه جميل الموسيقا والنغمة ، و أجزاؤه المسـتعملة : مفـاعلتن مفاعلتن فعولن للصدر ومثلها للعجز ، وزعم بعـض العروضييـن أن فعولن تتحول إلى فعول وأنشدوا :

علـوت علـى الرجـال بخلتــين ورثتــهما كمـــا ورث الـــولاء

فالعروض هنا لفظ " لتين " ووزنها فعول ، وإشباع النـون غـير جائز ، فالعروض المقطوفة هى التى يدخلها الحذف والعصـب فتصـير مفاعلتن فيها مفاعل وتحول إلى فعولن ، وحيـن تـرد مـع القطـف مقبوضة تصير فعولن إلى فعول ، وهو ما نجده عنـد شـاعرنا فـى " كئيب ونشيب " لا فى العروض ، واستطاع شاعرنا عرض فكرته مـن خلال أنغامه المتغيرة والمنبثقة من وزن الوافر الذى يمثل آلة موسيقية بعينها استخدمها الشاعر باقتدار يشهد له بالاتساق والتآلف فى الأنغـام والإيقاع ، كما أنه يراوح بين الشعر العمودى والتفعيلى بقـدرة فائقـة وإحساس مرهف .

البقايا

فى ديوانه البقايا تتوالى القصائد :

" **فداؤك نفسى وتبقى البقايا ، الأميرة وأنا ، عيد الميلاد ، مع الليل ، ألقاك ، بالفكر والأرواح تجمعنا ، ونبقى نحاول أن نلتقى ...** "

يحاول الشاعر فيها استقصاء الصور الشعرية باستقصاء روافدها ومنابعها ، وعناصرها ، وشروطها ، وخصائصها ، فى اللفظ والأسلوب ، والنظم ، والحقيقة ، والخيال ،والإيحاء ، والظلال ، والموسيقا ، والإيقاع ، فيدخل فى صراع لا تهدأ ناره ولا يخمد أواره ، وتشحذ العواطف همته ، ويعبر عن حبه الذى يقره الخلق ، وترضاه الفضيلة فيهصر الفؤاد هصرا ويعصره عَصْراً ثم تأتى القصائد :

" **الأصل الكلمة لو تدرى ، قد فزت بالحسناء ، أخشى الاقتراب ، من أنت ؟ حواء ، سافر كل شئ ، باعوا الجماجم والموتى ، هل أقدر وحدى أن أمشى ؟ ويد الله فوق كل اعتبار ، هل من خروج ؟ سنأتى التراب بلا موعد ...** " .

وفيها وميض نار تحرق الجوانح ، حيث يطوى الشاعر قلبه على أحزانه ويأسه وقد أضناه الوجد وأسقمه الحنين ، وفى قصائده :

حرب الخليج ، أطلال ذكرى ، لن أفارق ، يقول الزمان ، المسجد الأقصى ، هذه كانت قضية ، نهاية رحلة ، مازلت أنتظر ... " .

يلقى شاعرنا الرماد على الجمرة المتقدة بين جوانحه دون فائدة فالوطن يعانى ويلاقى صنوفا من العذاب والبلاء ، حتى إذا ما ضاقت

السبل فى وجهه راح الشاعر يجذبنا بروعة التعبير عن التعـاطف مـع الطبيعة التى تنبض بما فى الحياة مـن مظـاهر التكـامل ، والوحـدة العضوية بين الكائنات ، وأسرار الوجود ، فتتوالى قصائده :

" **وتبقى ثورة الشك ، كمال عفوك ، حرف الفاء ، فهل ترجعين ، صرخـة شهيد ، ويحلو لنا ما يقول الغريب ، وأسأل دائما عنه ، كيـف الخـلاص ؟ قصـة الزمن القديم ، فى زمن السكتة القلبية ، سلام هذا الزمان ، القاهرة** ... " .

ويحاول شاعرنا السلوان فتزداد معه حرق الحب تأججا ــ واشتعالا، وفى ديوانه " **علمتك الحب** " ننطلق من قصيدة تحمل نفس الديوان ونمر بعدد من القصائد الجميلة يختمها الشاعر بقصيدة لن أعود :

" **ان كان يرضيك البعاد فإننى ، بالبعد عنك قد ارتضيت** " .

ويطول بنا القول لو مضينا نسـتعرض سـائر الأبيـات الشـعرية للشاعر الذى حمّلنا جذوة متقدة فى القلب من خلال صور رحبة عميقـة ، دقيقة نابضة ، حيّة ، تفيض بالعواطف والمشاعر والأحاسيس وتزهو بالألوان والظلال والأضواء ، وتتنوع فيها المواقع والحجوم والأشكال .

نتذوق منها الطعوم المختلفة ، والروائح العطرة ، المتنوعة ، نلـوذ بمعانيه ، ونجنى من غرسه ، وخير المعانى ما كان القلب إلـى قبولـه أسرع من اللسان إلى وصفه ، فتحية لشاعرنا الذى احتفى بـالمضمون الشعرى الرفيع ، وبالتجربة الشعرية الملهمـة فـى زحـام التيـارات الشعرية المتلاحقة ، تحية **لصفوت العسال** الطائر الرقيق الشدو ، العذب الصوت ، الطاغى الحس ، الرفاف النفس ، المعجـب الغنـاء ، وإلـى اللقاء .

المصادر والمراجع

١. إبراهيم حمزة : إطلالة نقدية ، ١٩٩٩م .
٢. إبراهيم رضوان : أعماله الإبداعية الشعرية والمسرحية .
٣. إبراهيم ناجى (دكتور) : ديوانه ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م .
٤. أعلام الدقهلية : محافظة الدقهلية ، ١٩٩٧م .
٥. إلهام أبو الفتوح : أخبار اليوم ، ١٩٩٧/٨/١٦م .
٦. أمين مرسى : حديث البحر ، مجلة الغدير الكويتية ، فبراير ١٩٩٠م .
٧. أمين مرسى : رومانسية العسال ، أدب وفن ، ع٧ ، مارس ١٩٩٩م .
٨. أنيس منصور أدب وفن ، أكتوبر ١٩٩٦م .
٩. الأهرام : أعداد مختلفة بتواريخ متعددة .
١٠. بدر شاكر السياب : مختارات من شعره ، مكتبة الأسرة ١٩٩٨م .
١١. جابر عصفور (دكتور) : مجلة العربى ، ع (٤٤٩٤) إبريل ١٩٩٦م .
١٢. الجمهورية : بتاريخ ١٩٩٦/١٠/٢٨م .
١٣. حسنى عبد الجليل يوسف (دكتور) : موسيقا الشعر العربى ، ١٩٨٩م .
١٤. خيرى شلبى : صحبة العشاق رواد الكلمة والنغم ، ١٩٩٦م .
١٥. الدستور : العدد ٨١ بتاريخ ١٩٩٧/٦/٢٥م .
١٦. رتيبة الحفنى (دكتورة) : أم كلثوم معجزة الغناء العربى ، ١٩٩٧م .
١٧. زكى محمد إسماعيل (دكتور) : الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامى.

١٨. سعد القرش : الفرعونية والعروبة ، مجلـــة القـــاهرة ، نوفمـــبر ١٩٩٣م .
١٩. سعيد جودة السحار وجمال قطب : مصور أعلام الفكر العربى .
٢٠. سيد حجاب : أعماله الإبداعية الشعرية ، ١٩٨٧م .
٢١. شكرى القاضى : خمسون شخصية مصرية وشخصية ، ١٩٨٩م.
٢٢. صفوت العسال : ديوانان ، البقايا وعلمتك الحب .
٢٣. عبد الحميد توفيق زكى : أعلام الموسيقا العربية ، ١٩٩٠م .
٢٤. عبد الرحمن أبو عوف : نبوءة لويس عوض ، مجلة القـــاهرة ، نوفمبر ١٩٩٣م .
٢٥. عبد الله أحمد عبد الله : بيرم ثائراً ساخراً ، ١٩٧٥م .
٢٦. عبد النور خليل : رجال فى حياة أم كلثوم .
٢٧. عزيز الشوان : الموسيقا للجميع ، ١٩٩٠م .
٢٨. على الجارم : ديوانه .
٢٩. كمال النجمى : تراث الغناء العربى ، دار الشروق ، ١٩٩٨م .
٣٠. لويس عوض (دكتور) : محاكمة إيزيس .
٣١. محمد زكى العشماوى : النابغة الذبيانى ، دار الشروق ، ١٩٩٤م.
٣٢. محمد على أحمد : سيدة الغناء العربى ، ١٩٩٨م .
٣٣. محمود عوض : شخصيات ، سلسلة اقرأ ، ١٩٧٦م .
٣٤. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ومعاجم أخرى .
٣٥. نعمات عاشور : مع الرواد ، مكتبة الأسرة ، ١٩٩٦م.*

---

* تم ترتيب المراجع ترتيبا ألف بائيا بحسب أسماء المؤلفين .

تاريخ زمنى



- أمين مرسى ـ مواليد ١٩٤٢م . ليسانس آداب لغة عربية ودراسات عليا فى جامعة القاهرة .
- عضو جمعية الكاريكاتير المصرية ، ترجمت أعماله إلى البولندية عام ١٩٩٠م .
- صدر له : على مسرح الجريمة (قصة) ١٩٥٧م ـ ليلة (قصة) ١٩٦١م ـ العمرة ١٩٨٧م ـ مقدمة فى الشعر السودانى ١٩٨٧ ـ فلق الإصباح (شعر) ١٩٨٨م ـ التراث ١٩٨٩م (مشترك) ـ تعطير الأنام (شعر) ١٩٨٩م ـ الحج ١٩٩٠م ـ تيجان المجد (مشترك) ١٩٩٠م ـ معزوفات سماوية (مشترك) ١٩٩٨م ـ رحيق الفصحى (مشترك) ١٩٩٨م ـ أوتار الدقهلية وألحانها الندية ١٩٩٩م .
- نشر العديد من الدراسات ، والتحقيقات ، والأعمال النقدية ، والمقالات ، والقصص القصيرة ، والشعر بالفصحى والعامية الخليجية (النبطية) من خلال الصحف والدوريات .
- له أعمدة صحفية منها : معانى الأسماء (بالقبس) ، مشاهدة فنية (القبس) ، رحلة شعبية (القبس) ، حديث البحر (الغدير) ، وطن النهار (المختلف) مع المشاهير (الرسالة) ، ونشرت أعماله فى جل الصحف العربية .
- عمل مستشارا صحفيا لعدد من الصحف والدوريات وسكرتيراً لتحرير صحيفة صوت الكويت الدولى ، ورئيسا لمجلس إدارة مجلة عيون ، ومشرفا عاما لصحيفة (الرسالة) وبثت أعماله إذاعيا وتلفازيا .
- له تحت الطبع : المقداد بن عمرو ـ المبدعون فى الدقهلية ـ رواد التنوير فى الدقهلية ـ الفرسان فى الميزان ـ فى مدارات الشعر ٠ عبقرية طه حسين وتوفيق الحكيم ـ تحت ظلال الجميلة ـ العامية المصرية ـ شعراء القمة ـ بدايات الشعر العربى ـ الأعمال الشعرية الكاملة (النقش فوق الحدقة).

المحتوى

ص

صدر من سلسلة إبداعات الدقهلية

• الشعر فى المنصورة	مجموعة من الشعراء	١٩٩٣
• القصه فى المنصورة	مجموعه من الكتاب	١٩٩٣
• رحيق القصه فى الدقهلية	مجموعه من الكتاب	١٩٩٨
• رحيق الفصحى فى	مجموعة من الشعراء	١٩٩٨
• رحيق العامية فى الدقهلية	مجموعة من الشعراء	١٩٩٨
• أوراق أدبية	فؤاد حجازى	١٩٩٨
• بطاقه عائلية	مسرحيه عبد الفتاح الجمل	١٩٩٨
• مواويل لميت سلسيل	" شعر " سمير عبد الباقي	١٩٩٩
• وجيه عبد الهادي	"كتاب تذكاري "	١٩٩٩
• أحسن القصص	" قصص " إبراهيم وآخرون	١٩٩٩
• نافذة على بحر طناح	"رواية " فؤاد حجازي	١٩٩٩
• إطلالة نقدية	" دراسات " د. عبد المنعم تليمه وآخرون	١٩٩٩
• أحسن الأشعار	" شعر " مجموعة من الشعراء	١٩٩٩
• المخاض	" رواية " عادل حجازي	١٩٩٩
• قيثارة السماء ...أم كلثوم	محمد محمود عبد العال	١٩٩٩
• أوتار الدقهلية وألحانها الندية	أمين عرسي	١٩٩٩

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٩/٨٦٦٦

الترقيم الدولى I.S.B.N
977-324-015-0